الفصل الثاني .

النظم السياسية

- الوزارة
- ولاة الأقاليم .
- ولاية العهد الكتابة .
- الحسبة .
- الدواوين
- . مجلس الشورى .
- الحجابة .
- القضاء .
- الشرطة .

الفصل الثانى
النظم السياسية

النظام السياسى هو مجموعة من القواعد والأجهزة المتناسقة ، والمترابطة فيما بينها التى تبين نظام الحكم ، ووسائل ممارسة السلطة ، وأهدافها وطبيعتها ، ومركز الفرد منها وضماناته قبلها ، كما تحدد عناصر القوى المختلفة التى تسيطر على الجماعة وكيفية تعاملها مع بعضها ، والدور الذى تقوم به كل منها ٠

الخلافة :

ثلاثة وعشرون عاما مجيدة قاد الرسول ﷺ الأمة الإسلامية هذه السنوات غيرت مجرى التاريخ ، وكان لها تأثيرها المباشر بمنطقة شبه الجزيرة العربية حيث انصهر شعبها فى قالب واحد ومكنته هذه الوحدة ، وفى ظلها من أن يطل على العالم الخارجى بهدف نشر تعاليم الإسلام بين كافة الناس ٠

وفى نهاية هذه الأعوام تعرض المجتمع العربى الإسلامى لهزة عنيفة بوفاة الرسول ﷺ القائد الذى كان موفقا فى كل خطواته ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[1] ، كادت هذه الهزة أن تنتهى بنكسة خطيرة ، ويتضح أثرها فى موقف الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذى رفع سيفه مهددا كل من يجرؤ على ترديد قول النعى[2] .

ولكن رد الناس إلى صوابهم قول أبو بكر الصديق رضي الله عنه: من كان يعبد محمد فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت ، وتلى قوله تعالى :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[٣] .

وكانت المشكلة هى مشكلة القيادة ومحاولة ملء الفراغ الذى نتج عن وفاة الرسول ﷺ فى الإشراف على شئون الأمة[٤] وشئون الأمة فى هذا الحال دين وشعب ودولة .

بالنسبة للدين فقد اكتملت أركانه :

﴿ ... ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى... ﴾[٥] .

- والشعب فقد نعم بالعدالة والوحدة والتماسك منذ ارتضى الإسلام دينا .
- أما الدولة فقد شملت شبة الجويرة العربية وأطلت على قوة خارجية معادية ولذا فلابد لهذه الدولة من يحتفظ لها بسيادتها ولهذا تأكدت الحاجة إلى الخلافة وبدأ التفكير فى اختيار الخليفة .

لم يبلغ الرسول ﷺ نصا فى القرآن الكريم يحدد قاعدة اختيار من يخلفه ، ولم يرشد الرسول ﷺ فى حديث من أحاديثه الكثيرة من يتولى القيادة من بعده ، بالعين أو الوصف ، ولذا رجع المسلمون إلى العرف العربى القديم .

والخلافة أو الإمامة من أهم أنظمة الدولة الإسلامية التى صاغها المسلمون فى فترة دقيقة من فترات حياتهم ، كما أنها تمثل العمود الفقرى للتفكير السياسى الإسلامى ، وتعد فى الواقع أعظم ما توصل إليه المسلمون فيما يتعلق بسياسة الأمة وحكم المسلمين على الرغم من الخلاف الذى نشب بينهم حول الخلافة .

وبدأت الخطوات الأولى فى اختيار خليفة رسول الله ﷺ ، ونشأ فى سقيفة بنى ساعده – إحدى العشائر بالمدينة – حيث كان اجتماع المسلمين فى مؤتمرهم العام الأول بداية عملية لظهور الفكر السياسى الإسلامى ولقد عقد هذا المؤتمر رجال من الأنصار الذين رأوا ضرورة ملحة فى مناقشة قضية الحكم والسياسة للوصول فيها إلى حل حاسم وسريع واجتماع السقيفة يعد من أهم اللقاءات السياسية التى جمعت المهاجرين والأنصار وخاصة شيوخهم المجربين ، ومن بينهم أبو بكر الصديق والفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، واللذان استطاعا أن يمسكا بزمام الأمر وأن يحسما الأمر بالتوصل سلميا إلى إقناع الأمة ممثلة فى عدد لها من المهاجرين والأنصار باختيار الصديق رضي الله عنه خليفة لرسول الله ﷺ فى حكم المسلمين[٦] .

هذا ولما كان الأنصار قد رشحوا للخلافة سعد بن عبادة سيد الخزرج ، فأسرع إليهم أبو بكر ، وعمر ، وأبو عبيدة ابن الجراح وحصل بين الفريقين حوار وجدل ، وكان مما احتج به المهاجرون الآتي :-

١- أن النبى ﷺ أوصى بكم خيرا ، ولو كانت الإمامة فيكم لم تكن الوصاة بكم

٢- وأنه ﷺ قال : " الأئمة من قريش " .

٣- وأنه ﷺ قد رضى أبا بكر لديننا أفلا نرضاه لدنيانا ، فإن النبى ﷺ لما اشتد عليه المرض قال : " مروا أبا بكر فليصل بالناس "[٧] .

وقيل فى استخلاف أبى بكر رضي الله عنه أنه تم بطريقة الانتخاب الاستشارية وأن استخلاف عمر رضي الله عنه كان بطريقة العهد إليه من أبى بكر ، وكان استخلاف

عثمان رضي الله عنه تم بطريقة الاختيار والشورى ، وقيل فى استخلاف على بن أبى طالب رضي الله عنه أنه انتخاب عارضه فريق كبير من الأمة ، وهو اختيار لم يتم ، كما نرى وفق منهج واحد أو حسب طريقة واحدة منتظمة[٨] .

جاء اختيار الصديق رضي الله عنه تأكيدا صريحا على أن الحكم الإسلامى ليس حكما وراثيا ، وإنما الفيصل فى هذا هو العلم بأمور الدين والقدرة على تحمل أعباء السياسة وحكم الرعية بما يضمن إقامة حدود الله تحقيقا للعدالة التى جاء بها القرآن الكريم[٩] .

والخلافة نظام إسلامى لم يوجد عند غير المسلمين ، فالخليفة ينظر فى مصالح الناس الدنيوية والأخروية طبقا لأحوال الشريعة الإسلامية[١٠] .

ولذلك نجد أن الشروط التى رأى الفقهاء ضرورة توافرها فيمن يلى هذا المنصب هى :

١- الحرية .
٢- الإسلام .
٣- الرجولة .
٤- العدالة .
٥- سلامة الحواس .
٦- العلم ، المؤدى إلى الجهاد .
٧- الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة - الدولة - وجهاد العدو .
٨- النسب القرشى .
٩- سلامة الأعضاء من نقص يمنع من استيفاء الحركة .
١٠- الرأى المفضى إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح [١١] .

ومن مهام الخلفاء الآتى :-

- الاهتمام بمصالح الإسلام والمسلمين ٠
- عمارة الثغور ٠
- النظر فى أمور الرعية ٠
- رفع المظالم وقمع الظالمين ، وإعانة الملهوف ٠
- اصطناع المعروف – جبر الكسير ، إطلاق الأسير ٠
- يستمر عن ساق اجتهاده فى حماية بيضة - دولة - الإسلام ٠
- إقامة حدود الله وإحياء سنة رسول الله ﷺ[١٢] .

ومن مهام الخليفة النظر فى الإيرادات والمصروفات ، والإشراف على جميع شئون البلاد ، بمعاونة رجال الدولة ، وأيضا الإشراف على دور السكة [١٣] وكذلك دور الطراز ، ودور الصناعة ، وغيرها من المؤسسات التى تعمل بمصالح الأمة عامة وكان الخليفة يخرج فى المواكب العامة مثل الاحتفالات الدينية والقومية، وتوديع الجيوش واستقبال السفارات الخاصة للدول الخارجية وغير ذلك .

ظلت الخلافة:

انتخابية شورية زمن الراشدين ثم انقلبت إلى ملكية مطلقة على يد معاوية ، وكانت مبايعة الخليفة زمن الراشدين تتسم بالبساطة ، حيث تتم مبايعة أهل الحل والعقد ، وهم أهل المدينة فى ذلك الوقت ، وكان الانتخاب مصافحة بالأيدى ولذا سميت بالبيعة[١٤] .

وجرت العادة فى الدولتين الأموية والعباسية على أنه متى بويع الخليفة انتقل إلى دار الخلافة فى موكب حافل ثم يرد عليه وفد المهنئين من البلاد[١٥] .

وخلال الدولة العباسية حدث أنه إذا تمت البيعة اختار الخليفة لنفسه لقبا من الألقاب التى اختلفت عن الألقاب السابقة ، مثل لقب الرشيد ، الأمين ، المأمون، المعتصم بالله ، الواثق ، المستعين ، المستعصم وهكذا ، وكانت الألقاب السابقة تحوى فى معناها التواضع مثل "عبد الله ووليه" .

وكان الخليفة فى بادئ الأمر يشرف على جميع شئون الدولة بنفسه وإن استشار بعض المقربين إليه ، ولكن مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية لم يستطع الخلفاء الإشراف المباشر بأنفسهم على شئون البلاد ، فكانوا يختارون من يساعدهم فى تصريف شئون البلاد وخاصة الإدارية منها ، وذلك من كبار موظفيهم الذين أطلق عليهم لفظ الكاتب[١٦] .

شارات الخلافة ورسومها :

جرت الخلافة فى بادئ الأمر على البساطة والتواضع ، وترك مظاهر الترف والأبهة واستمر هذا الوضع خلال عصر الخلفاء الراشدين .

وعندما قامت الدولة الأموية ونقل مقر العاصمة الإسلامية من المدينة إلى دمشق ببلاد الشام ، بدأت مظاهر الأبهة تظهر وذلك بتأثر من حضارة الروم ، وأول من أظهر ذلك معاوية الذى جعل ذلك لإرهاب العدو وإشعاره بتفوق الحضارة الإسلامية ومسايرتها للحضارات المعاصرة .

وأهم تلك الرسوم الآتي :

١- الصلاة فى المقصورة الخاصة ، ذكر اسمه فى الخطبة ، والدعاء له على المنابر

٢- الجلوس على سرير الخلافة فى المواكب ، وبدأ ذلك خلال عهد معاوية حيث استأذن الناس فيه وقال لهم أنى قد بدنت فأذنوا له فاتخذه واتبعه الخلفاء المسلمين فيه .

٣- ضرب السكة من الدنانير والدراهم ونقش اسم الخليفة عليها [١٧] .

٤- ومن شارات الخلافة " الخاتم " وقد استخدم من عهد الرسول ﷺ حيث كان له خاتم من فضه نقش عليه (محمد رسول الله) فى ثلاثة أسطر واستعمله أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ، وسقط من يد عثمان فى بئر أريس وصنع آخر مثله [١٨] .

٥- نقش اسم الخليفة على الطراز ، من ملابس وكسوة وغيرها [١٨] .

علامات وشارات الخلافة :

البردة – الخاتم – القضيب – الخطبة – السكة – الطراز .

١ – **البردة :** هى بردة الرسول ﷺ التى كان يرتديها إلى أن أعطاها للشاعر كعب ابن زهير بن أبى سلمى ، الذى كان قد أعلن توبته وندمه على هجاء الرسول ﷺ ثم مدح الرسول بقصيدته المشهورة ، وتداول أهل كعب البردة حتى اشتراها منهم معاوية بن أبى سفيان بأربعين ألف درهم وتوارثها الأمويون والعباسيون وتبركوا بارتدائها فى المواكب والمناسبات إظهارا لمكانتهم من أسرة النبى ﷺ [١٩] .

٢- **الخاتم** : صنع الرسول ﷺ خاتما حينما بعث خطابه المشهور إلى كسرى فارس، وكان الأكاسرة لا يقبلون كتبا بدون أختام ، فصنع الرسول ﷺ خاتمه من فضة ونقش عليه "محمد رسول الله" فى ثلاثة أسطر وانتقل الخاتم إلى أبى بكر ثم إلى عمر ثم إلى عثمان ، ولكن الخاتم سقط من يد عثمان فى بئر أريس، فاصطنع عثمان خاتما مثله ، وحرص كل خليفة على اصطناع خاتم ، يختمون به كتبهم بالطين أو المداد أو الشمع ، وكان معاوية أول من انشأ ديوان الخاتم(٢٠) .

٣- **القضيب** : وهو ثالث شارات الخلافة ، فإذا تولى الخليفة جاءوا إليه بالقضيب والبردة والخاتم ، وكان القضيب عبارة عن عود كان النبى ﷺ يأخذه بيده ، واتخذه الخلفاء الأمويون ومن بعدهم الخلفاء العباسيون الذين كانوا يظهرون به فى المناسبات(٢١) .

٤- **الخطبة** : هى الدعاء للخلفاء على المنابر فى الصلاة ، وأصلها أن الخلفاء كانوا يتولون إمامة الصلاة بأنفسهم فكانوا يختمون فروض الصلاة بالدعاء للرسول ﷺ ، والرضى عن الصحابة ، فلما فتحوا البلاد وبعثوا إليها العمال صار الولاة يتولون إمامه الصلاة فى ولاياتهم ، فكانوا إذا صلوا وختموا الصلاة يقومون بالدعاء للخلفاء(٢٢) .

٥- **السكة** : ومن شارات الخلافة نقش اسم الخليفة على السكة ، أى العملة ، بطابع من حديد(٢٣) .

٦- **الطـراز** : حـرص الخلفـاء الأمويـون ثـم العباسـيون علـى رسـم أسمـائهم أو علامـات مميـزة علـى أثـوابهم وعلـى ثيـاب كبـار الموظفين فـى الدولـة والجنـود ، وعرفت هذه العلامات خلال العصرين الأيوبى والمملوكى باسم الرنوك[٢٤] .

مجلس الشورى:

الشورى فى حياة الناس حاجة معلومة وسنة متبعة ، ثم جاء الإسلام فأعلى مكانتها وأكد أهميتها ، وحض القرآن الكريم عليها ، قال تعالى:

﴿ .... وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ .... ﴾ [٢٥]

وقال تعالى : ﴿ ...فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ... ﴾[٢٦]

كما حض الرسول ﷺ على الشورى والأخذ بها وكان كثير الشورى لأصحابه .

وسار الخلفاء الراشدين من بعد الرسول ﷺ فى هذا الاتجاه ، فقد استشار أبو بكر رضي الله عنه أصحاب الرسول ﷺ فى أمور عدة لم يتضح فيها حكم من الكتاب أو السنة، ومثال لذلك فى ميراث الجدة حينما جاءته تطلب ميراثها فقال : لا أجد لك فى كتاب الله شيئا ، وما علمت أن الرسول ﷺ ذكر لك شيئا ، ثم سأل أهل الرأى والفقه من المهاجرين والأنصار ، وكان ممن ذكر من أهل شوراه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وعلى بن أبى طالب رضي الله عنه وعثمان بن عفان رضي الله عنه واسيد بن حضير وطلحة بن عبيد الله ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب وزيد بن ثابت وسعيد بن الزبير بن العوام ، والمغيره بن شعبة وغيرهم[٢٧] ، وقام المغيره بن شعبة وقال : سمعت رسول الله ﷺ يعطيها السدس ، فقال هل معك أحد ، فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها[٢٨] .

واستشار الصحابة حينما عزم على أن يعهد بالخلافة إلى عمر رضي الله عنه ، أما إذا كان هناك حكم من الكتاب أو السنة فلم يكن أبو بكر رضي الله عنه يلتفت إلى مشورة أحد من الناس على نحو ما جرى منه فى موقفه من مانعى الزكاة لما وجدهم يفرقون بين الصلاة والزكاة[٢٩] .

وفى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتسعت رقعة الدولة ، وكثرت المعضلات وزادت مصالح الناس تعقيدا ، فكثرت لذلك الشورى فى عهد عمر رضي الله عنه فقد استشار فى حد شارب الخمر وجعله ثمانين جلده ، بعد أن رأى على بن أبى طالب رضي الله عنه ذلك ووافقه الصحابة على رأيه[٣٠] .

ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية بالفتوحات ، استشار عمر رضي الله عنه فيما يفعله فى الأراضى التى أفاء الله على المسلمين من أرض العراق والشام فى اتخاذ الديوان وفرض العطاء للجند والناس وكان من رأى بعض الصحابة أن تقسم هذه الأرض بين الغانمين بعد رفع الخمس وكان رأى عمر رضي الله عنه وبعض الصحابة أن تبقى بيد أهلها وأن يوضع عليها الخراج لينفق منه على مصالح المسلمين عامة فى كل جيل وزمان ، وبعد نقاش وجدل ومشاورات وافق المسلمون على رأى عمر رضي الله عنه [٣١] .

ولم يخرج عثمان بن عفان رضي الله عنه فى الشورى عن طريق سلفيه ، فقد استشار فى حدث من أهم الأحداث فى الإسلام ، وهو جمع القرآن الكريم فقد قدر خطر ما سيقدم عليه فلم يشأ أن ينفرد برأى فجمع المهاجرين والأنصار وشاورهم فى الأمر، واستقر الرأى على كتابة المصحف وكان لمروان بن الحكم دور كبير فى خلافته فى تصريف الأمور[٣٢] .

وكان على بن أبى طالب رضي الله عنه يستشير أصحابه ويستمع أحيانا إلى رأى أنصاره فى تدبير الأمور ومكايدة الخارجين عليه ، فقد أخذ برأى الأغلبية فى التحكيم .

وعندما آلت الخلافة إلى بنى أميه لم يكن معاوية بن أبى سفيان ممن يجهل فوائد الشورى فيهمل الأخذ بها ، وما كان يصدر المهمات إلا عن شورة فقد كان يشاور ذوى الرأى من الولاة ووجوه الناس وأشراف القوم وأهل العلم فى الكثير من الأمور ، وكان ذلك سنة من جاء بعده من الخلفاء من بنى أميه ، فكان الأحنف بن قيس زعيم تميم مستشارا لمعاوية ، وأيضا كان يستشير المغيره بن شعبة وعمرو بن العاص والوفود التى كانت تأتيه[٣٣] .

وكان روح بن زنباع وهو فقيه وأحد الذين تولوا شئون فلسطين مستشارا لعبد الملك بن مروان[٣٤] .

وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه اتخذ فى أثناء ولايته على المدينة مجلسا مؤلفا من عشرة من فقهاء المدينة ليعينوه على الحق ، وجعل ألا يقطع أمرا إلا برأيهم أو برأى من حضر منهم ، وهم عروة بن الزبير ، عبيد الله بن عتبة ، أبو بكر بن عبد الرحمن ، أبو بكر بن سليمان بن أبى خثيمة ، سليمان بن يسار ، القاسم بن محمد ، سالم بن عبد الله بن عمر ، عبد الله بن عبد الله بن عمرو ، عبد الله ابن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، خارجه بن زيد [٣٥]، وكان الخلفاء من بنى أمية يرجعون فى شورى استخلاف السلطان ورد الطامعين به إلى الجماعة الأموية غالبا .

ومن هنا يمكن القول بوجود نوعين من الشورى فى العصر الأموى أولهما شورى تتعلق بالأمور والمصالح العامة ، وكان الخلفاء من بنى أميه يرجعون فيها إلى ذوى الرأى من أشراف القوم والولاة وغيرهم وثانيهما شورى تتعلق بالسلطان خاصة وكان الخلفاء من بنى أمية يفزعون فيها إلى آل بيتهم ويقضون فيها بينهم[٣٦].

ولما آلت الخلافة إلى العباسيين واستقرت فيهم ما يقرب من ثمانية قرون أخذت بطانة الخليفة تظهر بوضوح من حيث العناصر التى تتآلف منها والدور الذى تمارسه فى أمور الدولة ، فمن جهة كان بنو هاشم ، عباسيين وعلويين وموالى العباسيين وشيعتهم والوزراء والقادة العسكريون والكتاب والقضاة والفقهاء يشكلون بطانة الخليفة ، وصار هؤلاء فى الغالب أهل الحل والعقد ، ومن جهة أخرى كانت هذه البطانة الجهة التى يرجع إليها الخليفة فى تصريف أمور الدولة ، وسياسة الرعية وحفظ الأمن والنظام وضبط الأمور ، ومراقبة الأموال فى الإيرادات والمصروفات واستخلاف القائمين بأمر الخلافة ، ومثال لذلك ، لما أراد الخليفة أبو جعفر المنصور أن يبايع لابنه المهدى كلم الجند فى ذلك ولما تتابعت الأحداث عليه وثار محمد النفس الذكية العلوى عليه أحضر القواد وأهل بيته واستشارهم فى ذلك[٣٧] ، ولما أراد موسى الهادى أن يخلع هارون الرشيد ويبايع لابنه جعفر تابعة على ذلك القواد ، ودسوا إلى الشيعة – الشيعة العباسية – فنكلوا فى أمره وتنقصوه فى مجلس (لجماعة) وكما بايع المتوكل لأولاده كتب كتابا وأشهد عليه أهل بيته وشيعته وقواده وقضاته وفقهائه[٣٨] واجتمع فى البيعة لجعفر المتوكل القادة

والقضاة إضافة إلى الوزير وعندما خلع المستعين وبويع للمعتز شهد على البيعة بنو هاشم والقضاة والفقهاء والقواد ، ولما ثقل المكتفى فى علته فكر العباس بن الحسن وهو الوزير فيمن يقلده الخلافة ، وكان يركب إلى دار السلطان ويسايره واحد من الأربعة الذين يتولون الدوارية وهم محمد بن داود بن الجراح ومحمد بن عبدون وأبو الحسن بن الفرات وعلى بن عيسى[٣٩] .

ثم ما لبث أن رجحت كفة العسكريين من بين بطانة الخليفة ، واندفعت هذه الفئة بدافع المنافسة مع العناصر الأخرى فى بطانة الخليفة من جهة وبدافع الخوف من تحركات الخليفة ومحاولات فى المحافظة على توازن بينه وبين هذه البطانة يكون فى صالحه ، واندفعت تعمل على تشديد قبضتها على أمور الدولة والدفاع عن مصالحها وامتيازاتها ، وصارت منذ القرن الثالث الهجري تستبد غالبا بمؤسسات الدولة ابتداء بالخليفة الذى صار خلعه وتعيينه فى كثير من المرات مرهونا بإرادتهم ، واستبدت فترات بالأمور فى الدولة ، وكانت سلطة الخليفة فى هذه الظروف لا تتعدى بغداد ، فعلى سبيل المثال أن الخليفة الراضى بالله قال : "كأنى بالناس يقولون أرضى هذا الخليفة بأن يدبر أمره عبد تركى ، حتى يتحكم فى المال وينفرد بالتدبير ، ولا يدرون أن هذا الأمر أفسد قبلى أو أدخلنى فيه قوم بغير شهوتى"[٤٠] .

ولما توفى الخليفة الراضى كان أمير الأمراء بجكم فى واسط فأرسل بجكم كاتبه ليشرف على اختيار الخليفة الجديد ، فعقد مجلسا برئاسة الوزير حضره كل وزير وكاتب وحضره الأشراف العلويون والعباسيون والقضاة والوجوه ليكون

الانتخاب فى شكله الكامل وجعل كل اثنين منهم يصونان معا ولكنهم كانوا يعرفون مرشح بجكم فانتخبوه وهو المنفى[٤١] وفوض الخليفة الطائع لله أمور الخلافة إلى عضد الدولة البويهى ، وصار البويهيون يشاركون الخليفة كل شارات الخلافة ومميزاتها ، ولم يختلف الحال أيام السلاجقه عما كانت عليه الأمور فى عصر البويهيين ، رغم حسن معاملة السلاجقه للخلفاء ورغم محاولات بعض الخلفاء استعادة ما كان لهم من نفوذ[٤٢] .

وخلال العصر الفاطمى يمكن القول أن الخلفاء الفاطميين أصابهم مثلما أصاب العباسيين ، ووقعوا تحت سيطرة بطانتهم وبخاصة العسكريين منهم حيث وجهوا مؤسسات الدولة توجيها لم يكن للخليفة الفاطمى فيها أحيانا سوى الاسم[٤٣].

وخلاصة القول أن حكام المسلمين مارسوا الشورى فى تصريف أمور الدولة على اختلاف بينهم فى الأغراض ، ومع أن الحكام لم يسموا أشخاصا بعينهم يجعلونهم فى الشورى خاصة ، ولم يحصروا أنفسهم بفئة معينة يجعلونهم دون غيرهم موضع شوراهم ، مما لم يؤد إلى تطور مجلس الشورى فى الدولة الإسلامية إلى مجلس نواب دول القرن الحادى والعشرين ، ومع ذلك فإن مجلس الشورى الإسلامى إذا استثنينا جانب التشريع يكون قد مارس المهمة التى تمارسها المجالس النيابية المعاصرة .

الوزارة:

تمثل الوزارة فى الحضارة الإسلامية قسما أساسيا من أقسام السلطة التنفيذية فى الدولة ، وقد انتقلت نظم الفرس إلى الدولة الإسلامية خلال العصر العباسى فاتخذوا منها نظاما يساعدهم على تصريف جميع شئون الدولة حتى السياسية منها وهو نظام الوزارة[٤٤] .

وقد ورد لفظ الوزير فى القرآن الكريم وذلك فى قوله تعالى:

﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ۝٣٢ ﴾[٤٥] .

وكذلك في قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ۝٣٥ ﴾[٤٦]

وروى عن النبى ﷺ أحاديث يذكر فيها لفظ الوزير فعن الترمذى أنه كان للنبى ﷺ أربعة وزراء ، اثنان من أهل السماء واثنان من أهل الأرض هما أبو بكر وعمر[٤٧] .

وذكر الماوردى أنه روى عن النبى ﷺ أنه قال : "ما من رجل من المسلمين أعظم أجرا من وزير صالح مع إمام يطيعه ويأمره بذات الله تعالى " [٤٨] وروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : "إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق ، إن نسى ذكره ، وإن ذكر أعانه ، وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء ، إن نسى لم يذكره ، وإن ذكر لن يعنه"[٤٩] .

وقد ورد أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال للأنصار فى اجتماع السقيفة " نحن الأمراء وأنتم الوزراء "[٥٠] .

أختلف فى أصل كلمة الوزارة فالبعض ذكر أن أصل الكلمة فهلوى مأخوذ من فيشيرا ومعناه الأمر والتقرير ، وقيل أن أصلها عربى وأختلف فى اشتقاقها حيث ذكرت على أنها مشتقة من ثلاثة أوجه هى :

١- أنها مأخوذة من الوزر : بمعنى الحمل الثقيل ، لأنه يحمل عن الملك أثقاله

٢- أو من الوزر : وهو الملجأ لأن الملك يلجأ إلى رأيه ومعونته لأن عليه مدار السياسة وإليه تفوض الأمور ، وهى من قوله تعالى﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ ﴾[٥١] أى لا ملجأ .

٣- أو من الأزر : وهو الظهر ، لأن الملك يتقوى بوزيره كقوة الجسم بالظهر[٥٢]

ولم يكن لفظ الوزير يعرف بين المسلمين فى بداية الأمر ، ولم يتحدد اختصاصه إلا بعد فترة من قيام الدولة العباسية ، حيث أن بساطة الإسلام وبساطة الدولة فى أول عهدها جعلت الحاجة إلى هذه الوظيفة معدومة[٥٣] فالرسول ﷺ كان يستعين ببعض من يحسن الكتابة ، ويخصص لكل فريق عملا يقوم به ، فعلى سبيل المثال كان على بن أبى طالب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما يكتبان الوحى ، وكان خالد بن سعيد بن العاص ، ومعاوية بن أبى سفيان يكتبان بين يديه حوائجه وكان المغيرة بن شعبة والحصين بن النميرى يكتبان ما بين الناس ، وعبد الله بن الأرقم والعلاء بن عقبة يكتبان بين القوم فى قبائلهم ومياههم وفى دور الأنصار بين الرجال والنساء ، وكان زيد بن ثابت يكتب إلى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحى[٥٤] .

وبعد وفاة الرسول ﷺ كان أبو بكر يستعين بعمر بن الخطاب وبالصحابة حيث كان عمر يلى القضاء لأبى بكر، وأبو عبيده على بيت المال، ومن كتابه على بن أبى طالب، وزيد بن ثابت وعثمان بن عفان[٥٥] وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستعين بعلى بن أبى طالب وعثمان بن عفان وكان له خاصة من كبار أولى الرأى منهم العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله، وكان لا يكاد يفارقه فى سفر وحضر، وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهم[٥٦].

واعتمد عثمان بن عفان رضي الله عنه فى أول خلافته على مشورة كبار الصحابة ثم مال إلى الاعتماد على أهله وعشيرته من بنى أمية، واختص مروان بن الحكم.

وكذلك على بن أبى طالب كرم الله وجه فقد استعان فى أموره بالصحابة وكان الكتاب فى عهد الأمويين بمثابة الوزراء، وقد كان عبد الحميد ابن يحى الكاتب كاتبا ووزير آل مروان بن محمد[٥٧].

ولم يسم أى من معاونى الخليفة خلال عصر الراشدين أو العصر الأموى باسم الوزراء، ولم يضف اسم وزير إلى أحد من معاونى الخليفة إضافة دائمة ولازمة.

أما فى العصر العباسى ظهرت الوزارة بالشكل المعروف، كما كتب عنها فقهاء المسلمين، وحدثوا عن أقسامها واختصاصاتها وأنواعها، وبذلك يكون المنصب الذى كان معروفا لدى الأمويين بالكاتب أو الكتابة قد تطور إلى منصب الوزير والوزارة فى خلافة بنى العباس.

وفى ذلك يذكر بن خلدون: "فلما جاءت دولة بنى العباس واستفحل الملك وعظمت مراتبه عظم شأن الوزير وصارت إليه النيابة من إنفاذ العقد والحل،

وتعينت مرتبته فى الدولة ، فصار اسم الوزير جامعا لخطتى السيف والقلم وسائر معانى الوزارة والمعاونة"[٥٨] .

وكان أول وزير فى دولة بنى العباس هو أبو سلمة الخلال ، وكان فصيح اللسان عالما بالأخبار والأشعار وتفسير القرآن ، حاضر الحجة كثير الخير ، اختير فى الكوفة سنة ١٣٢ هـ/ ٧٤٩ م ، حيث سلمت إليه الرئاسة وسمى وزير آل محمد، وصار يدبر الأمور ويفرق المال ، وصارت الدواوين بحضرته والكتب تنفذ منه وترد عليه [٥٩] ولما ظهر ميله للعلويين انتهى الأمر بأن قتله أبو العباس السفاح .

ويبدو أن مكانة الوزير فى هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الوزارة فى عصر بنى العباس ، لم تختلف كثيرا عن مكانة الكاتب أواخر عهد بن أمية وذلك نظرا لهيبة الخلفاء مثل أبو جعفر المنصور الذى استبد بالأمور[٦٠] وإذا بلغنا عهد هارون الرشيد وجدنا الوزير احتل مكانة راسخة فى الحل والعقد ، فحينما استوزر هارون الرشيد يحيى بن خالد البرمكى ، وقال له : " يا أبة أنت أجلستنى هذا المجلس ببركة رأيك وحسن تدبيرك ، وقد قلدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقى إليك ، فأحكم بما ترى واستعمل من شئت واعزل من رأيت ... فأنى غير ناظر معك فى شئ " وجعل إليه الدواوين كلها مع الوزارة سوى ديوان الخاتم ، وهكذا فوض هارون الرشيد أموره كلها إلى يحيى بن خالد البرمكى ، الذى استعان فى القيام بوزارته بولديه الفضل وجعفر[٦١] ، ودعى جعفر بن يحي بالسلطان أيام الرشيد إشارة إلى عموم نظره وقيامه بالدولة ....

وعرف الفاطميون أيضا الوزارة والوزراء ، ويذكر القلقشندى : الوزارة هى أرفع وظائفهم وأعلاها رتبة ، وأعلم أن الوزارة فى الدولة الفاطمية كانت تارة فى أرباب السيوف وتارة فى أرباب الأقلام ، وفى كلا الجانبين كانت الوزارة تارة تعلو فتكون وزارة تفويض ، وتارة تنحط فتكون وزارة تنفيذ أو تكون غير ذلك فتكون ما عرف باسم الوساطة[٦٢] .

أما الأمويون فى الأندلس فقد أنفوا أول الأمر اسم الوزير وقسموا المهمات التى يقوم بها عادة أصنافا ، وأفردوا لكل صنف وزيرا ، فوزير للمال ، ووزير للترسيل ، ووزير للنظر فى حوائج المتظلمين وهكذا ، وجعلوا لهم بيتا يجلسون فيه يتداولون المهمات المفوضة إليهم ، وكان يتردد بينهم وبين السلطان الأموى واحد منهم ارتفع مجلسه عن مجالسهم بما سره السلطان فى كل وقت أخصوه باسم الحاجب[٦٣] .

وقد راعى الخلفاء عند اختيار وزرائهم بعض الخصال التى تتوافر فيهم ، فيجب أن يختاره من البرية وينتخبه من الرعية ويختبر عقله ويعتبر دينه ونقله فإن وجد له طمعا فى مال الرعية وميلا إلى إصلاح حاله بفساد أحوالهم ويسئ التدبير فلا يركن إليه ولا يعتمد عليه .

ويجب أن يكون الوزير عنده تيقظ ودين وورع وعفه ورزانة وحلم ورأى أصيل وأن الرأى لا يصح إلا بثلاثة أشياء دراية بالأمور وبصيرة بالسياسة وفكرة فى العواقب ، ويستحب أن يكون الوزير ناصحا مشفقا ومؤمنا مؤتمنا ومن الله خائفا فإذا كملت له هذه الخصال تقبل مشورته ويستمع قوله ولا يخالف أمره[٦٤] .

ويجب أن يكون الوزير مقدما فى صناعته ، حاذقا بالحساب ، خبير بآداب الرياسة وقواعد الملك وآداب السلاطين ، عارفا بأحوال الرعية والأعمال ضباطا للأموال ، حسن الخط ، وأن يتميز بالذكاء والفطنة والتيقظ والحزم والحلم ، والوقار ، والأمانة ، والصدق والشهامة والعفة ، وأن يكون عزيز النفس كبير الهمة[٦٥] .

وهذه الخصال المحمودة لم تجتمع لأحد من الوزراء وكان التفاوت فيها واضحا بين وزير ووزير ، وهناك من وصف بأنه لا علم عنده ولا معرفة ، وكان ردئ السيرة جهولا بالأمور ، إضافة إلى من اشترى منصب الوزارة بالمال مثل ابن مقله وزير الخليفة العباسى الراضى بالله[٦٦] .

أنواع الوزارة :

تنقسم الوزارة إلى نوعين :

الأول : وزارة التفويض وهى أن يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه وإمضاءها على اجتهاده ، ولا يستشير الوزير فيها الخليفة ، أى أن الخليفة لا يملك ولا يحكم[٦٧] .

والثانى : وزارة تنفيذ وهى أن الوزير ينفذ أمر الخليفة الذى يشرف على جميع تصرفاته ، ولا ينفذ الوزير شيئا إلا بعد مشورة الخليفة أو السلطان[٦٨] .

وبالنسة لوزير التفويض فإن كل ما يصح للخليفة يصح له إلا ثلاثة أشياء هى :

١- ولاية العهد ذلك أن الامام يعهد إلى من يرى وليس ذلك للوزير .

٢- أن للخليفة أن يستعفى الأمة من الخلافة وليس ذلك للوزير .

٣- أن الخليفة يعزل من قلده الوزير وليس ذلك للوزير [٦٩] .

أما الشروط التى يجب أن تتوافر فى وزير التفويض فهى :

- الحرية ◻ الإسلام ◻ العلم بالأحكام الشرعية
- المعرفة بأمرى الحرب والخراج[٧٠] .

وبالنسبة لوزير التنفيذ فقد وجب أن تتوافر فيه عدة شروط هى :

◻ الأمانة ◻ صدق اللهجة ◻ قلة الطمع

◻ أن يسلم فيما بينه وبين الناس من عداوة

◻ أن يكون ذكورا فيما يؤدية إلى الخليفة لأنه شاهد له وعليه .

◻ الذكاء والفطنة حتى لا تلتبس عليه الأمور ◻ الحنكة والتجربة .

◻ ألا يكون من أهل الأهواء فيخرجه الهوى من الحق إلى الباطل .

لا يشترط الإسلام فى وزير التنفيذ لأنه لا يمتد سلطته إلى ولاية أمر المسلمين وتولى وزارة التنفيذ ذميون[٧١] .

الفرق بين وزارة التفويض والتنفيذ :

يكون الفرق بين هاتين الوزارتين فى الآتى :

١. أنه يجوز لوزير التفويض مباشرة الحكم والنظر فى المظالم وليس ذلك لوزير التنفيذ .
٢. أنه يجوز لوزير التفويض أن يستبد بتقليد الولاة ، وليس ذلك لوزير التنفيذ
٣. أنه لوزير التفويض أن ينفرد بتسيير الجيوش وتدبير الحرب وليس ذلك لوزير التنفيذ .

٤. أنه يجوز لوزير التفويض أن يتصرف فى أموال بيت المال بقبض ما يستحقه له ويدفع ما يجب منه ، وليس ذلك لوزير التنفيذ .

وكان للوزير لباس رسمى شمل الدرعة وقميصا ومبطنه وخفا واختلف راتبه على مر العصور أو اختلاف الأشخاص .

أما مهام الوزير:

فقد اختلفت الوظائف التى يقوم بها من عهد لأخر ، ومن خليفة لخليفة ، وبين دولة ودولة ، ومن الوظائف التى كان الوزير يقوم بها سواء كان وزير تنفيذ أم وزير تفويض – الإشراف على الشئون الإدارية ، فكان العمل اليومى له شاقا مجهدا ، حيث كان من مهامه أن يغدوا إليه الكتاب فيوافقهم على الأعمال ويسلم إلى كل منهم ما يتعلق بديوانه أو يوجهه بما يريد وصايته به ، ثم يروحون إليه بما يعطونه من أعمالهم فيوافقهم عليه ، وإذا خف العمل ، نهض من مجلسه وانصرف الجماعة بعد قيامه ، ويذهب الوزير إلى دار الخلافة فى أيام معينة من كل أسبوع للمثول بين يدى الخليفة وإطلاعه على شئون الدولة وتلقى الأوامر منه[٧٢] .

- ومن مهامه النظر فى ديوان الحسبان لما يحتاجه إليه خطته من قسم الأعطيات فى الجند ، فاحتاج إلى النظر فى جمعه وتفريقه .
- والإشراف على القلم والترسيل لصون أسرار السلطان ولحفظ البلاغة .
- جعل الخاتم لسجلات السلطان ليحفظها [٧٣] .

وهذه الوظائف التى استندت إلى الوزير كانت تتفاوت بين وزير وآخر تبعا لطبيعة شخصية الوزير من جهة وطبيعة شخصية الخليفة من جهة أخرى ، وكذلك

طبيعة العلاقة بين الخليفة والقوى الآخرى فى المجتمع ، وقد سجلت بعض الفترات نفوذا قويا للوزراء بلغ درجة التدخل فى تعيين الخلفاء والاشتراك فى عزلهم[٧٤] .

ولاة الأقاليم "الأمراء" :

يأتى الخليفة على رأس السلطة التنفيذية فى الدولة الإسلامية ولما كان الخليفة يجمع فى يده كل السلطات فهو يحكم الطبيعة البشرية وظهرت الحاجة إلى الاستعانة بالولاة على البلدان منذ أن انتشر الإسلام خارج المدينة ، وصارت رقعة الدولة الإسلامية تضم إلى جانب مدينة الرسول ﷺ مدنا وبلاد أخرى ، ومن ثم فوض بعض السلطة التنفيذية إلى ولاته وعماله - أمراء الأقاليم[٧٥] مثال ذلك فقد جعل الرسول ﷺ عتاب بن أسيد واليا على مكة ، ومن أهم عمال الرسول ﷺ على الأقاليم :-

عثمان بن أبى وقاص على الطائف ، العلا بن الحضرمى على البحرين ، زياد بن لبيد الأنصارى على حضر موت ، المهاجر بن أبى أمية بن المغيره على صنعاء ، وعين غيرهم من الولاة على بلدان أخرى[٧٦] .

وكان أول راتب فرضه الرسول ﷺ للعمال هو راتب عتاب بن أسيد والى مكة وكان درهما فى كل يوم .

وفى عهد أبى بكر رضي الله عنه كانت ولايات الجزيرة العربية هى البلاد التى تحت الإدارة الإسلامية نهائيا وقد جعلها عدة وهى :

١. مكة وعليها عتاب بن أسيد .
٢. الطائف وعليها عثمان بن أبى وقاص .

٣. حضرموت وعليها زياد بن لبيد ٠

٤. صنعاء وعليها المهاجر بن أبى أمية ٠

٥. البحرين وعليها العلاء بن الحضرمى ٠

٦. خولان وعليها يعلى بن أميه ٠

٧. زبيد ورمع وعليها أبا موسى الأشعرى ٠

٨. الجند وعليها معاذ بن جبل ٠

٩. نجران وعليها جرير بن عبد الله البجلى ٠

١٠. جرش وعليها عبد الله بن ثور ٠

وفى عهد عمر قسم الدولة أقسام ادارية كبيرة ولى على كل قسم منها والى يتولى شئونها والإشراف عليها ، وكان يختار الولاة من أماثل القوم وأفضلهم سيرة وكان يتعدهم بالنصح والإرشاد ومن ذلك نصيحته لبعض عماله التى يقول فيها : "انى لم أبعثكم جبابرة ولكن بعثتكم أئمة ، فلا تضربوا المسلمين فتذلوهن ، ولا تجمروهن فتنتنوهن ولا تمنعوهم فتظلوهن ، وأروا لفحة المسلمين" وأهم الأمصار فى عهد عمر رضي الله عنه وولاتها :-

١- نافع بن عبد الحارث الخزاعى على مكة ٠

٢- سفيان بن عبد الله الثقفى على الطائف ٠

٣- يعلى بن منبه على صنعاء ٠

٤- عبد الله بن أبى ربيعه على الجند ٠

٥- عثمان بن أبى العاص الثقفى على البحرين ٠

٦- المغيرة بن شعبة الثقفى على الكوفة ٠

٧- أبو موسى الأشعرى على البصرة ٠

٨- معاوية بن أبى سفيان على دمشق ٠

٩- عمير بن سعد على حمص ٠

١٠ – عمرو بن العاص على مصر[٧٧] ٠

واتخذ ولاة على غير مكة من البلاد واتبع سياسة تقسيم البلاد إلى ولايات واتخذ الولاة عليها كل من الراشدين والأمويين والعباسيين والفاطميين وغيرهم من حكام المسلمين على اختلاف عصورهم[٧٨] ٠

وفى عهد أبى بكر كانت الدولة الإسلامية تقتصر على شبة الجزيرة العربية ولم يكن مصير بلاد العراق والشام قد تحدد تماما فكانت الولايات فى عهد أبى بكر هى: البحرين – اليمامة – عمان – خولان – حضر موت – الجند – صنعاء – زبيد – رمع – جرش – نجران – الطائف – دومة الجندل[٧٩] ٠

ثم اتسعت الدولة فى عهد عمر، وعهد عثمان، وخلال العصرين الأموى والعباسى والعصور الإسلامية الأخرى ولن ندخل فى تفاصيل اتساع الدولة الإسلامية وذكر ولاياتها، لأن ما يهمنا هنا – هو اختيار الوالى ومهامه فى ولايته وعلاقته بالخلافة ٠

أولا : اختيار الولاة :

حينما كان الخليفة أو الإمام يختار الوالى، ولم يتركه مطلقا بل قيده بالقيود التى تضمن عدم استبداد ولاة الأقاليم بالسلطة ٠

وكان يختار الولاة من أماثل القوم وأفضلهم سمتا وهديا سيرا على سنن النبي ﷺ في اختيار الأصلح للولاية ، وكان عمر رضي الله عنه يتعدهم بالنصح والإرشاد ، ومن ذلك نصيحته لبعض عماله التي يقول فيها : "إني لم أبعثكم جبابرة ولكن بعثتكم أئمة ، فلا تضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تجروهم فتفتنوهم ، ولا تمنعوهم فتظلموهم وأدروا لفحة المسلمين"[٨٠] .

الولاية :

هي أن يقلد أميرا على إقليم أو بلد ، وقد يطلق على هذا الأمير لقب وال أو عامل ، وقد نشأت الإمارة على البلدان مبكرة في الإسلام ، فكان الرسول ﷺ، ينيب عنه عمالا على القبائل والمدن في الحجاز واليمن ، واستمر هذا النظام واتسع في عهد الخلفاء الراشدين وما بعده من عصور[٨١] .

وإمارة الاستكفاء فهي أن يختار الخليفة الرجل الكفء ليفوض إليه إمارة بلد أو إقليم فيضطلع هذا الأمير بتدبير الجيوش وتقليد القضاة ، وجباية الخراج ، وحماية الدين وإقامة الشرع وإمامة الصلاة ، والإشراف على شئون الحج ، ثم حماية هذا الإقليم إن كان من الثغور[٨٢] .

أما النوع الثالث من الإمارة فهو إمارة الاستيلاء التي تعقد عن اضطرار فهي أن يستولي الأمير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة إمارتها ، ويفوض إليه تدبيرها وسياستها فيكون الأمير باستيلائه مستبدا بالسياسة والتدبير ، والخليفة بإذنه منفذا لأحكام الدين ليخرج من الفساد إلى الصحة ومن الحظر إلى الإباحة[٨٣] .

الفرق بين إمارة الاستكفاء العامة وإمارة الاستيلاء :

١- أن إمارة الاستيلاء متعينة فى المتولى ، وإمارة الاستكفاء مقصورة على اختيار المستكفى .

٢- أن إمارة الاستيلاء مشتملة على البلاد التى غلب عليها المستولى ، وإمارة الاستكفاء مقصورة على البلاد التى تضمنها عهد المستكفى .

٣- أن وزارة التفويض تصح فى إمارة الاستيلاء ، ولا تصح فى إمارة الاستكفاء لوقوع الفرق بين المستولى ووزيرة فى النظر .

وهذه القيود تتلخص فيما يلى :

١- حسن اختيار الإمام لولاة الأقاليم .

٢- محاسبة عمال الأقاليم ومراقبة أعمالهم .

٣- فصل السلطة القضائية وحماية استقلالها .

٤- اختيارهم ممن لهم دراية بأمر السياسة والحرب والخراج .

٥- وصايا الرسول لأمرائهم باتباع سنة رسول الله ﷺ(٨٤) .

وكان اختيار الولاة من الأمور التى يقوم الخليفة بها ، ومع ذلك فإن دور أهل الولاية كان واضحا فى اختيار الولاة وسياستهم وتقويمهم ، ومثال لذلك : شكا أهل الكوفة عمار بن ياسر إلى الخليفة عمر بن الخطاب وقالوا أنه ليس بأمير ولا يحمل ما هو فيه فعزله عمر ، وقال لهم من تريدون بأهل الكوفة ، فقالوا أبا موسى الأشعرى، فولاه عليهم وجاءوه بعد سنة وقالوا ، لا حاجة لنا فى أبى موسى ، فقال لهم أقوى متشدد أحب إليكم أم ضعيف مؤمن ؟ وكان يكتب إلى الولاة بتوقير وجوه

الناس الذى جعلوا أنفسهم وسطاء بينهم وبين الناس ، وسفراء يرفعون حوائجهم ومطالبهم إلى الولاة ، وكان يقول من ظلمه أمير فلا أمرة عليه[٨٥]

وولى هارون الرشيد على بن عيسى بن ماهان على خراسان فلما عاث فيها واستخف برجالها ، كتب أهل خراسان ، إلى الرشيد يشكون سوء سيرته فعزله الرشيد وولى هرثمة بن أعين[٨٦] .

وكان على الخليفة أو الإمام مراقبة الوالى وأن يسأل عن سيرته ويفحص عن حالته وسريرته فإن كان عادلا أكرمه ورفعه وإن كان ظالما أهانه وعزله فإنه لا صلاح لرعية واليها فاسد .

كما روعى ألا تكون الولاية أكبر من الوالى فتقهره ، فإن الوالى إذا ولى ولاية هى أكبر منه يضيع فيها ويبقى حائرا كالفارس الذى بيده رمح لا يقدر على نقله والعمل به ، وقيل سئل بعض خلفاء بنى أميه "ما كان سبب زوال ملككم ، فقال استعنا بصغار العمال على أكابر الأعمال فآل أمرنا إلى ما آل"[٨٧] .

والإمارة كانت على ثلاثة أنواع : الإمارة العامة ، والإمارة الخاصة وإمارة الاستيلاء [٨٨] .

- الإمارة العامة وهى تشمل الصلاة وإدارة الإقليم والحرب والخراج .
- أما الإمارة الخاصة : فهى محددة فى إمارة الجيش ، إمارة الحج – إمارة على الصلاة والحرب دون الخراج[٨٩] .

مهام الوالى فى ولايته :

كان الولاة نوابا عن الخليفة فى ولاياتهم وحكاما ، وكان كل منهم يقوم فى ولايته بالمهام التى من شأن الخليفة أن يقوم بها ، وله من صلاحية النظر فى أمور الولاية ما للخليفة من صلاحية النظر فى أمور الدولة[٩٠] ، وتمثلت مهامه فى الآتى :

١- النظر فى تدبير الجيوش وقيادتها ٠

٢- النظر فى الأحكام وتقليد الولاة ٠

٣- جباية الخراج وقبض الصدقات وتقليد العمال ٠

٤- حماية الدين والذب – الدفاع - عن الحريم ٠

٥- إقامة الحدود ٠

٦- تسيير الحجيج ٠

٧- الإمامة فى الجمع والجماعات[٩١] ٠

وكان من مهام الوالى أيضا حق الإشراف على شئون الشرطة ، وكان هو الذى يعين صاحب الشرطة[٩٢] ٠

ونلاحظ أنه فى بعض فترات العصر العباسى أرسل الوالى من ينوب عنه فى حكم الولايات ، وكان لكثرة تغيير الولاة خلال العصر العباسى أثرة السلبى على أحوال الأقاليم[٩٣] ٠

وكان بقاء الوالى فى ولايته متوقفا على تنفيذه لمطالب الخلفاء وفقا لسياستهم حيث أن حكم الولاة كان يختلف لينا وشدة تبعا لاختلاف ميولهم فقد

اشتهر البعض منهم بالعدل والجود والإصلاح ، والبعض الآخر اتسمت سياسته بالعنف والجور والقسوة .

وكان للولاة مجالس فى ولاياتهم تضم إلى جانب كبار رجال الولاية وموظفيها جماعة من وجوه الناس وعلمائهم وأهل المعرفة بأحوال الولاية ، وكان الوالى يرجع إليهم ويستشيرهم ، ومثال لذلك مجلس سعيد بن العاص فى الكوفة فى عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ومجلس عمر بن عبد العزيز فى المدينة خلال عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك[٩٤] .

الحجابة :

الحجابة فى اللغة لفظ مشتق من حجب بمعنى حال دون أو منع أو ستر . يقال حجب الشئ أى ستره[٩٥] .

وفى الاصطلاح هى احدى الوظائف المعاونة للحاكم وصاحب الحجابة يسمى حاجبا ، وهو من يحجب السلطان عن العامة والخاصة .

وهذا المنصب لم يعرفه صدر الإسلام ، عندما كان الإسلام بسيطا لا يتشبه حكامه بالملوك . وكان الخلفاء الراشدون لا يحتجبون عن رعاياهم ، فكانوا يجلسون طوال يومهم فى مسجد الرسول ﷺ بالمدينة ، ويلتقون بالمسلمين على اختلاف مراتبهم بدون حجاب[٩٦] .

وقد كان أول من اتخذ الحجاب معاوية بن أبى سفيان ، وذلك بعد مصرع على بن أبى طالب رضي الله عنه ، ومحاولة اغتيال معاوية ، واتساع الفتن وازدحام الناس على أبواب قصره فى دمشق وحذا الخلفاء الأمويون حذو معاوية فى الاحتجاب عن

الناس [٩٧] والحاجب موظف كبير يشبه كبير الأمناء فى العصر الحديث وكان يقوم بإدخال الناس على الخليفة حسب مراتبهم ومراكزهم فى المجتمع .

- ومن اختصاصات الحاجب أيضا : تنظيم مثول الناس أمام الخليفة .
- وأنهم كانوا يمثلون همزة الوصل بين الناس والخليفة[٩٨] .

واتخذ الخلفاء العباسيون الحجاب ، فلم يقابلوا رعاياهم إلا من قدم لأمر خطير وصار بين الناس والخليفة داران : دار الخاصة ودار العامة ، يقابل الخليفة كل طائفة فى كل مكان معين ، كما يحدده الحاجب[٩٩] .

واتخذ العباسيون الحجاب وبالغوا فى ذلك تشبها بالأكاسرة وحماية لأنفسهم من الساخطين عليهم وزادوا فى منع الناس عن ملاقاتهم .

أما فى بلاد الأندلس فيلاحظ أن منصب الحجابة كان يماثل منصب الوزارة فى الدولة العباسية ، فقد كان اختصاص الحاجب فى عصر بنى أمية واسعا يشتمل على الإشراف على الشئون المدنية والعسكرية ، وبلغ الحاجب درجة كبيرة من النفوذ حتى أن الخلفاء حافظوا على التلقب بلقب الحاجب بعد وصولهم إلى كرسى الخلافة[١٠٠] .

وكان يشغل وظيفة الحاجب كبار العسكريين ، وبلغ نفوذهم إلى درجة كبيرة حيث كان يتم مشورتهم فى الكثير من الأمور فى الدولة ، واستبد بعضهم بالأمر دون الوزير ، وتدخل بعضهم فى تعيين الوزراء[١٠١] ، ومثال لذلك الربيع بن يونس حاجب المنصور والمهدى ، ونلحظ مدى مكانته بأنه أخفى نبأ موت المنصور حتى أخذ البيعة للمهدى ، وتخلص من الوزير معاوية بن يسار حيث عزله المهدى بمشورة من

الربيع ، ثم رشح الربيع للمهدى يعقوب بن داود ليتولى الوزارة[١٠٢] ولعب دورا كبيرا فى الإيقاع بين هارون الرشيد والبرامكة[١٠٣] .

هذا ونجح بعض الحجاب فى تأسيس أسر حاكمة مثل الحاجب أق سنقر والد عماد الدين زنكى الذى أسس الأسرة الزنكية فى الموصل وأعمالها وتوابعها "الجزيرة وسنجار ونصيبين وغيرها"[١٠٤] .

وخلال العصر الفاطمى لم يتمتع الحاجب بتلك المكانة التى كان يتمتع بها خلال العصرين الأموى والعباسى ، وكان يلقب بصاحب الباب[١٠٥] .

وزاد نفوذ الحاجب حتى صار الواحد منهم يلقب بذى الوزارتين ، وذلك إشارة إلى إشرافه على الأمور المدنية والعسكرية ، وكان ذلك راجعا إلى الثقة التى أولاها له الحكام حيث كان يتم اختيار الحاجب من مقدمى رجال الدولة وخاصة الخليفة ويختار من أغزرهم عقلا وأشدهم دينا وأوفاهم روعا ، وأعظمهم من الله خوفا ، وأصوبهم رأيا وأرحمهم قلبا وأصدقهم لهجة وأذكاهم نفسا[١٠٦] .

وكان على الخلفاء ألا يجعلوا زمام الأمور بأيدى حجابهم ، ولا يركنوا بالكلية إليهم ، ولا يعتمدوا فى جميع أمورهم عليهم ، فربما داخلهم الطمع فينقلون إلى الخليفة ما يريدون ، ويكتمون عنه ما يختارون وهذا يؤدى إلى اختلال الملك وفساد النظام وهلاك الرعية ، بل كان عليه أن يباشر الأمور بنفسه ويسمع من المظلوم شكايته ، ويتولى أمور الرعية حقيرها وخطيرها بنفسه ولا يهمل شيئا منها[١٠٧] .

ولاية العهد :

أثارت مشكلة ولاية العهد أو الاستخلاف كواحدة من نظم الدولة الإسلامية كثيرا من الجدل والخلاف بين المفكرين والعلماء والفقهاء المسلمين ، فمنهم من أدان هذا الاتجاه ونادى ببطلانه ، ومنهم أوجد له المبررات ووضع له من القواعد ما يجعله مشروعا متمما للخلافة ٠

وكانت البداية التاريخية لولاية العهد سنة ٤٠ هـ/٦٦٠ م حين تولى الحسن بن على خلافة المسلمين ، إلا أنها لم تتم على يد على بن أبى طالب رضي الله عنه ولم يوص بها ، فقد ترك هذا للمسلمين يرون فيه رأيهم ، ومع ذلك يمكن القول أن تولية الحسن بن على كانت البداية لقاعدة جديدة من قواعد الحكم ونظم الدولة ، ربما كانت سابقة سار عليها معاوية بن أبى سفيان فأخذ البيعة لابنه يزيد[١٠٨]

وعلى الرغم مما فى البيعتين من بعد عن أسس الخلافة الإسلامية التى وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم فقد أقحم هذا التقليد على الخلافة وأصبح ملازما لها ٠

وقد عارض بعض المسلمين بيعه يزيد ، بل أن معاوية أكره الناس أو بعضهم على البيعة ، فقد ثار الحجاز ، وعندما تولى يزيد خلافة الأمة بعث إلى واليه على المدينة الوليد بن عقبة يأمره فى كتاب يقول فيه : خذ حسينا وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذا شديدا ليست فيه رخصة والسلام[١٠٩] .

إن القاعدة التى وضعها الأمويون ، وساروا عليها منذ خلافة معاوية وحتى مقتل مروان بن محمد لم تمر دون أن تحرك الثورة فى النفوس ، وعندما مات معاوية

ازدادت الثورة اشتعالا ورأى الحسين بن على أن يطالب بحقه فى الإمامة وسادة أهل العراق وانتهى الأمر بقتله سنه ٦١هـ / ٦٨٠م فى كربلاء[١١٠] .

ولم تكن كربلاء نهاية المشكلات بالنسبة ليزيد ، فقد كان عبد الله بن الزبير بمكة كما لم تكن المدينة بأقل رفضا للموقف ، وسير يزيد جيشه إلى الحجاز حيث دارت الحرب مع أهل المدينة فى موقعة الحرة وقتل فيها كثيرون[١١١] وسارت الجيوش الأموية بعد ذلك إلى مكة وبها عبد الله بن الزبير ولم تنجح هذه المحاولة ، كما لم تنج المدينة من نار الأمويين[١١٢] ، واستمرت ولاية العهد تنتقل بين أولاد الخلفاء وأخوتهم وأقاربهم الأقربين .

مكن الأمويون لأنفسهم ووضعوا أسس ولاية العهد ، وبذلك تحولت نهائيا إلى حكم وراثى[١١٣] وازداد الصراع على ولاية العهد خلال العصر العباسى ، ولجأ الخلفاء إلى أخذها لأكثر من واحد من الأبناء ، ولم يتورع كل أولئك فى الدخول فى حروب دامية وصولا للانفراد بها تمهيدا للوصول إلى الخلافة ، فقد عهد أبو العباس السفاح إلى المنصور وجعل ولاية العهد من بعده لعيسى بن موسى[١١٤] فأراد المنصور تقديم المهدى فاستنزله عن العهد عفوا لحقه فيه ، ويذكر الماوردى أنه ليس من حق الخليفة أن يكره ولى العهد على التنازل ، إذ يجب أن يتنازل طائعا راضيا[١١٥] .

وقد حرص الخلفاء العباسيون على ولاية العهد ، فيذكر أن الرشيد رتب الخلافة فى ثلاثة من أبنائه هم الأمين ثم المأمون ثم المؤتمن وذلك بناء على مشورة من عاصره من فضلاء العلماء[١١٦] .

فإذا عهد الخليفة إلى ثلاثة ورتب الخلافة فيهم ومات والثلاثة أحياء كانت الخلافة بعده للأول ، ولو مات الأول فى حياة الخليفة كانت الخلافة بعده للثانى، ولو مات الأول والثانى فى حياة الخليفة فالخلافة بعده للثالث لأنه قد استقر لكل واحد من الثلاثة بالعهد إليه حكم الخلافة من بعده[١١٧] .

وفى عام ١٨٧هـ/ ٨٠٢م بايع الرشيد لابنه القاسم بولاية العهد بعد المأمون شريطة أن يكون الأمر للمأمون ان أراد أقره فى ولاية العهد وان شاء أن يخلعه خلعه[١١٨] .

وعندما تولى الأمين الخلافة أراد أن يخلع أخاه المأمون من ولاية العهد وسير إليه من يحاربه فى خراسان ، وتصدى لذلك طاهر بن الحسين الذى تمكن من انزال الهزيمة بجيش الأمين وعلى رأسه القائد على بن عيسى بن ماهان[١١٩].

وتعرضت بغداد بسبب ولاية العهد للحصار ودارت الحرب التى انتهت بمقتل الأمين ، وحملت رأسه إلى أخيه المأمون فى خرسان ، ولقد بكى المأمون واشتد حزنه على أخيه ، ثم قدم من خرسان إلى بغداد ليتولى أمر المسلمين[١٢٠].

ويتصل النزاع على ولاية العهد حتى أننا نرى تدخل الموالى لتأييد ولى العهد وهذا ما حدث خلال عهد الخليفة المعتز الذى علم أن المؤيد يتآمر عليه وذلك بالاتصال بالموالى فقبض عليه وطلب إليه أن يخلع نفسه من ولاية العهد ولم يهدأ إلا بعد أن قتله مسموما[١٢١] .

واستمرت ولاية العهد قضية من قضايا الخلاف حتى نهاية العصر العباسى وسقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م .

ولذا يمكن القول أن ولاية العهد ظلت أسلوبا من أساليب اختيار الخليفة ، وذلك منذ العصر الأموى وحتى انتهاء الخلافة العباسية ، وإذا اعتبرنا أن هذا التطور قد أملته الظروف التى عاشت خلالها نظرية الدولة الإسلامية فإن هذا الأسلوب يضاف إلى ما سنه الخلفاء الراشدون ابتداء بالاختيار دون نص أو عهد مكتوب إلى نص وعهد مكتوب إلى قيام مجلس الشورى وانتهاءا بولاية العهد لواحد ثم لأكثر من واحد [١٢٢] تحولت الخلافة فى عهد الأمويين من نظام الشورى والانتخاب إلى النظام الملكى الوراثى ، فقد بايع معاوية بن أبى سفيان لابنه يزيد بولاية العهد دون أبناء الصحابة مثل الحسين بن على ، وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن العباس وغيرهم ، وكان الخلفاء الأمويون يولون العهد أحيانا لأكثر من واحد .

واتبع العباسيون هذا النظام وغالوا فيه ، فقد عهد أبو العباس السفاح (١٣٢-١٣٦هـ) بالخلافة أبى أخيه إلى جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٣-٧٧٤م) ثم إلى أخيه عيسى بن موسى بن على بن عبد الله بن عباس ، فلما تولى المنصور الخلافة خلع عيسى بن موسى وبايع لابنه المهدى ، ثم لعيسى بن موسى من بعده ، ولما تولى المهدى الخلافة (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٤-٧٨٥م) خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد ، وولى ولديه الهادى ثم هارون الرشيد .

كذلك أراد الهادى (١٦٩-١٨٠هـ) خلع أخيه هارون والبيع لابنه جعفر مثلما فعل المهدى مع عيسى بن موسى ، لولا أن مات الهادى قبل أن ينفذ ذلك .

كما حاول الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد ، والبيعة لابنه مما أدى إلى النزاع بين الأخوين ، وانتهى الأمر بقتل الأمين .

وكان لنظام ولاية العهد نتيجة سيئة على العباسيين والأمويين من قبلهم ، حيث نشب الخلاف بين الكثيرين مما أضعف الخلافتين[١٢٣] .

الكتابة :

الكتابة فى اللغة : لفظ مشتق من كتب وهو يدل على جمع شئ إلى شئ والكتاب بمعنى الفرض أيضا وذلك فى قوله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾[١٢٤].

يقصد بالكتابة هى احدى الوظائف المعاونه للحاكم تشاركه مسئوليات الحكم بتدوين وكتابة ما يعهد الحاكم إليها من رسائل وغيرها القيام بالأعمال الإدارية التى تعين الوزير فى أدائه لعمله ، فقد كان عبء الوزارة يضطلع به شخص واحد فى العادة وهو من يطلق عليه فى عصرنا الحالى لقب "رئيس الوزراء" ، ولكن أعباء الوزير أخذت تتزايد بحيث لم يعد من الممكن أن يقوم بها وحده ، ولذا استعان بموظفين أو كتاب يشرفون معه على الدواوين المختلفة أى الوزارات بالمفهوم الحديث[١٢٥] وقد عرف المسلمون الكتابة فى صورتها البسيطة الأولى فى عهد الرسول ﷺ ، حيث كان يتخذ له كتاب من الصحابة الذين يجيدون القراءة والكتابة يدونون القرآن الكريم ويكتبون الرسائل والعهود والمعاهدات المختلفة ، كان على بن أبى طالب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما يكتبان الوحى فان غابا

كتب أبى بن كعب وزيد بن ثابت ، وكتب خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان بين يدى الرسول فى حوائجه ، واتخذ الرسول ﷺ المغيرة بن شعبة والحصين ابن غير كتبة يكتبان ما بين الناس من المداينات والمعاملات ، وجعل عبد الله بن الأرقم والعلاء بن عقبة يكتبان بين القوم فى قبائلهم ومياههم وفى دور الأنصار بين الرجال والنساء وأضاف إلى زيد بن ثابت كتابة الكتب إلى الملوك ، وجعل كتابة المغانم إلى معيقيب بن أبى فاطمة حليف بنى أسد ، وكان حنظلة ابن الربيع خليفة كل كاتب من كتاب النبى ﷺ إذا غاب عن عمله حتى غلب عليه اسم الكاتب ، وكان الرسول يضع خاتمه عنده ، وبلغ كتاب الرسول ﷺ اثنين وأربعون رجلا[١٢٦] فمنهم عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب (رضى الله عنهم) ، وزيد بن ثابت ، ومعاوية بن أبى سفيان والمغيرة بن شعبة[١٢٧].

وسار على نهجه الخلفاء الراشدون حيث اتخذوا لهم كتابا أيضا ، وكانت الكتابة فى عهدهم مازالت بسيطة فى وظيفتها ففى عهد أبى بكر اتخذ عثمان بن عفان كاتبا له وكذلك زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم ، وعبد الله بن خلف الخزاعى وحنظلة بن الربيع[١٢٨] وفى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وتم تعيين كاتب بكل ولاية كانت مهمته تنحصر أولا فى كتابة الرسائل ، وتدوين الدواوين ثم أصبحت المهمة تتسع لتشمل حسابات الدواوين وتسجيل أسماء الجند وأعطياتهم وكاتب للخراج وكاتب للقضاء[١٢٩] .

وعندما انتقلت الخلافة إلى الأمويين تعددت الدواوين وأصبحت خمسة هى: ديوان الرسائل والخراج والجند والشرطة والقضاء وكان لكل ديوان من هذه الدواوين كاتب ، وكان يتصدرهم فى الأهمية كاتب ديوان الرسائل[١٣٠] .

وخلال العصر العباسى زادت مكانة الكاتب نتيجة لكثرة أعمال الوزارة ، حيث أصبح من الضرورى تعيين موظفين لمعاونة الوزير للإشراف على الدواوين المختلفة وإدارة شئونها ، وكان من أشهر الكتاب فى ذلك العصر كاتب الرسائل الذى يتولى مكاتبة الأمراء والملوك عن الخليفة ، وقد حرص الخلفاء على أن تدون الرسائل بأسلوب شائق وبليغ ، كما حرصوا على اختيار كتابهم من رجال الأدب من أعرق الأسر وممن عرفوا بسعة العلم ورصانة الأسلوب[١٣١] .

وكان كاتب الرسائل يجلس مع الخليفة فى مجلس القضاء وينوب عن الخليفة أو الأمير فى بعض الأحيان ، وعندما استقرت وظيفة الوزير وزادت أهمية شاغلها صار الكاتب مجرد موظف فى الدواوين[١٣٢] .

وعرف نظام الكتابة فى الأعمال والولايات الإسلامية فكان بكل ولاية كاتب للخراج والمال وكاتب الرسائل .

وكانت طائفة الكتاب تؤلف وحدة على رأسها الوزير ، بل وتتدرج فى الرقى إلى الوزارة ، معتمدة على كفايتها وبلاغتها ، وكان لهؤلاء الكتاب أثر كبير فى نشر نوع من الثقافة خاص ، وذلك أن ثقافتهم كانت أوسع من ثقافة غيرهم ، وكانت معارفهم ودائرة إطلاعهم واسعة شاملة ، وأنهم بحكم مناصبهم مضطرون أن يعرفوا

أحوال الناس الاجتماعية وتقاليدهم ، وأن يعرفوا من اللغة والأدب وعلوم الدين والفلسفة والجغرافية والتاريخ طرفا لأن كثيرا من مواقفهم يحتاج لذلك[١٣٣] .

وكان هناك صفات ينصح أن يتحلى بها الكتاب من هذه الصفات والخصال الحلم والفقه والعفاف والعدل والإنصاف والأمانة وكتم السر والوفاء والبعد عن السعاية والنميمة والكبر والعظمة والبعد عن المطامع ، والنظر فى كل صنف من صنوف العلم ، واجادة الخط ورواية الأشعار ، ومعرفة أيام العرب والعجم ، وأحاديثها وسيرها والنظر فى الحساب[١٣٤] .

وكان لابد أن تكون هناك مؤهلات خاصة بفئة من الكتاب دون الأخرى ، وذلك لخصوصية الدواوين وتميزها عن بعضها فى الوظائف فمثلا ، كان لا غنى لصاحب ديوان الخراج عن معرفة الحساب والمساحة .

- ولا غنى لصاحب ديوان الصدقات عن الإلمام بعلوم الفقه .
- ولابد لصاحب ديوان الجيش من معرفة عرض الرجال وشيات الدواب ودار السلاح .
- ولابد لصاحب ديوان النفقات من الإلمام بالحساب والمكاييل والأوزان والأسعار وأمثالها ، وهكذا فى الدواوين الأخرى[١٣٥] .

وكانت الدولة تقوم بصرف الرواتب والأرزاق للكتاب وعمال الدواوين ، وعلى سبيل المثال كان راتب كاتب عبد الله بن على العباس فى خلافة المنصور عشرة دراهم كل شهر[١٣٦] .

وكان الأمويون والعباسيون يصرفون راتبا سنويا لرؤساء الكتاب والعمال ثلاثة مائة درهم وزادت رواتبهم عن ذلك خلال عهد المأمون[١٣٧] .

ويذكر المقريزى رواتب أرباب الدواوين خلال العصر الفاطمى كالآتى :

- الراتب الشهرى لصاحب ديوان النظر سبعين دينارا .
- وصاحب ديوان التحقيق خمسين دينارا .
- وأربعين دينارا لصاحب ديوان المجلس .
- وخمسة وثلاثين دينارا لصاحب دفتر المجلس .
- وأربعين دينارا لصاحب ديوان الجيش [١٣٨] .

وكانت كتابة الدواوين فى صدر الإسلام فى صحف مدرجة تسمى قراطيس وإذا كانت طويلة سميت طوامير ، وأول من اتخذ الطوامير وكتب فيها الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك (٨٩-٩٦هـ/ ٧٠٧-٧١٤م) وكره الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/ ٧١٧-٧١٩م) استعمالها وجعل كتبه فى شبر من الصحف أو نحوه[١٣٩] وظلت الكتب تثبت فى صحف وتحفظ فى هذه الصحف فى الدواوين حتى كانت خلافة أبى العباس السفاح ، فجعلها خالد بن برمك فى دفاتر واتخذت الدفاتر من الجلود ، ثم استعمل جعفر بن يحى بن خالد برمك بن الكاغد فى خلافة هارون الرشيد وتداوله الناس من بعده[١٤٠] .

القضاء :

القضاء فى اللغة مصدر من قضى وهو أصل يدل على أحكام أمر وإتقانه وإنفاذ لجهته كما يتضح من قوله تعالى :

﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ... ﴾[١٤١]

أى أحكم خلقهن ، والقضاء هو الحكم قال تعالى:

﴿ ... فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ... ﴾[١٤٢]

أى أحكم ولذلك سمى القاضى قاضيا لأنه يحكم وينفذ الأحكام، وسميت المنية قضاء لأنه ينفذ فى بنى آدم وغيره من الخلق[١٤٣] .

والقضاء من أعظم المناصب ومرتبته تلو مرتبة النبوة ، لأن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق وكلفهم الأخذ بالشرائع ، وبعث الرسل قضاة ليحكموا بين الناس قال تعالى :

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ .... ﴾[١٤٤]

وقال تعالى لرسوله محمد ﷺ :

﴿ ...وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ... ﴾[١٤٥] .

والقضاء من عمل الخليفة لأن معناه الفصل بين الناس فى الخصومات حسما للتداعى وقطعا للتنازع ، على حسب القانون الشرعى المأخوذ من الكتاب والسنة[١٤٦] وقد كان سنة متبعة عند العرب قبل الإسلام وكانوا يعرفون بالحكام[١٤٧]

ولما جاءت دولة الإسلام صار الرسول ﷺ يفصل فى الخصومات بين الناس فى المدينة وصار مرد كل حدث أو اختلاف بينهم إلى الله وإلى محمد رسول الله ﷺ[١٤٨] .

ثم صار القضاء بعد الرسول ﷺ فى عداد الوظائف الداخلة تحت الخلافة ، وفى ذلك يذكر الهروى أنه على الخليفة ألا يهمل أمر القضاة والعدل وأصحاب المناصب لان بأيديهم أزمة الأمور وصلاح الرعية ، ولهم الحكم على الأرواح والأشباح والأموال وأمور الدين والدنيا بل يمتحنهم فى مجلسه ويسألهم عن أمور دينهم ودنياهم وليجعل عليهم عينا ورقيبا ليعلم أمرهم ، فان أهمل أمرهم فسد حاله[١٤٩] .

فكان الخلفاء يباشرون هذا العمل بأنفسهم ويستفتون فى الحكم ان كانت هناك حاجة إلى الاستفتاء ، وعندما استخلف أبو بكر رضي الله عنه قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه "أنا أكفيك القضاء" [١٥٠] ، ولما تولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عين على بن أبى طالب رضي الله عنه قاضيا ، وجعل على الأمصار والولايات قضاة ينظرون فى الخصومات بين الناس ، وصار ذلك سنة فى الذين جاءوا من بعده من الخلفاء ، حيث كان يتخذ كل منهم قاضيا فى حاضرة الخلافة وقضاة آخرين فى الولايات والأمصار[١٥١]

والسبب فى ذلك هو كثرة مشاغل الخلفاء بالفتوح وانشغالهم بالجيوش وتدبيرها مما جعلهم يفوضوا هذا العمل إلى من فى استطاعتهم الاستنباط ، ولكنهم لم يتسموا باسم القضاة إلا منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث بعث قضاة إلى الأمصار والولايات فولى أبا الدرداء قضاء المدينة ، وشريحا قضاء البصرة ، وأبا

موسى الأشعرى ، قضاء الكوفة ، وقيس بن أبى العاص قضاء مصر ، ووضع لهم نموذجا يسيرون عليه ، واستمر الحال على ذلك إلى آخر عهد الخلفاء الراشدين[١٥٢] وكان القضاء فى الأمصار أول الأمر مضاف إلى الولاة ، حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجعله مستقلا عن نظر الوالى ، وعين له من ينفرد بالنظر فيه ، وكان تقليد القضاة فى الولايات يتم فى الغالب عن طريق الولاة وذلك بتفويض الخليفة لهم[١٥٣] ، ولم يكن لأمراء الأمصار سلطان عليهم فى قضائهم .

وخلال العصر العباسى ظهر منصب قاضى القضاة وذلك زمن هارون الرشيد وتولاه القاضى أبو يوسف صاحب كتاب الخراج وصار لقاضى القضاة حق الإشراف نيابة عن الخليفة على النظام القضائى من حيث النظر فى تعيين القضاة ومراقبتهم فى عاصمة الدولة وخارجها[١٥٤] .

وذلك لأنه كان لا يوجد إلا خليفة واحد للمسلمين فى بغداد هو الخليفة العباسى ، ونتيجة لتعدد الخلفاء بعد قيام الدولة الفاطمية بدأ تعدد قاضى القضاة فى عدة عواصم[١٥٥] .

وقد ظهر الأئمة الأربعة ابتداء من القرن الثانى الهجرى وبتدوين مذاهبهم وانتشارها اخذ القضاة يتقيدون فى قضائهم بمذهب مشهور ، فانتشر مذهب الإمام أبو حنيفة النعمان (٨٠-١٥٠هـ/٦٩٩-٧٦٧م) فى سائر بلاد العراق[١٥٦] كما انتشر مذهب الإمام مالك وهو مذهب أهل الحديث فى بلاد الحجاز ، والإمام مالك هو ابن انس الأصبحى ولد سنة ٩٣هـ/٧١١م وتوفى سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م .

- أما المذهب الشافعى نسبه إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعى القرشى المولود بغزة سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م والمتوفى بمصر سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م فقد انتشر فى مصر والشام .
- وقد انتشر مذهب الإمام أحمد بن حنبل المولود ببغداد سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م والمتوفى بها سنة ٢٤١هـ/ ٨٥٥م فى بغداد فى بلاد الشام ونجد .

وهكذا كان لكل مذهب من هذه المذاهب قاضى قضاة يقوم بدوره بتعيين القضاة فى الأمصار والمدن وفقا لمذهبه[١٥٧] .

وكان الخلفاء يتحرون عند اختيار القضاة أن يكون القاضى من أهل العدالة والعلم وقد ذكر المصنفون لكتب "أدب القضاء" الشروط التى يجب توافرها فيمن يقلد منصب القضاء استقوها من الشواهد القرآنية والسوابق من عهد الصحابة ومن تلاهم فقد ذكر الماوردى سبعة شروط هى : الذكورة حيث يشترط فيمن يتولى القضاء أن يكون رجلا ، وأجاز أبو حنيفة تولى المرأة القضاء فيما يجوز فيه شهادتها ويرى الكاسانى أن الذكورة ليست من جواز التقليد فى الجملة لأن المرأة من أهل الشهادات فى الجملة ، إلا أنها لا تقضى فى الحدود والقصاص لأنه لا شهادة لها فى ذلك ، وأهلية القضاء تدور مع أهلية الشهادة وأجاز ابن جرير الطبرى تولى المرأة القضاء فى جميع الأحكام[١٥٨] مع البلوغ ، والإسلام ، والعقل ، والعدالة والحرية والعلم بالأحكام الشرعية ، وسلامة الحواس والعلم بآراء السلف[١٥٩] ، حيث يجب فيمن يتولى القضاء أن يسمع ويبصر حتى يستطيع تمييز الحق من الباطل

وهذا بخلاف سلامة الأعضاء فهى غير معتبره فى القضاء ولكنها معتبرة فى الولاية العامة[١٦٠] .

واهتم الخلفاء والولاة بتصفح أحوال القضاة وتتبع أخبارهم والاطمئنان على سلامة إجراء أحكام العدل بين الناس ، وكان دور بعض الخلفاء مشهودا فى بيان معالم القضاء وكشف غموضه وإزاحة علله[١٦١] .

كان النبى ﷺ هو الذى يتولى القضاء ، وكان يعتمد فى قضائه على الوحى والاجتهاد فيما لا نص فيه ، وقد درب ﷺ أصحابه على ذلك فعندما بعث بمعاذ بن جبل إلى اليمن قال له : "كيف تقضى إذا عرض عليك قضاء ؟ قال أقضى بكتاب الله قال فإن لم تجد قال أقضي بسنة رسول الله ، قال فإن لم تجد فى سنة رسول الله قال أجتهد فى رأيى ولا آلو فقال له الحمد لله الذى وفق رسول الله إلى ما يرضى الله"[١٦٢] .

وفى عصر الخلفاء الراشدين كانت المصادر هى الكتاب والسنة والإجماع والقياس وذلك على الترتيب السابق ، على أنه إذا كان القاضى من أهل الإجتهاد كما كان فى صدر الإسلام ، فإنه يأخذ الحكم نفسه من هذه المصادر السابقة مباشرة وعلى الترتيب السابق ، أما إذا لم يكن كذلك فإنه يأخذ الحكم منها بواسطة المجتهدين ، واستمر الأمر كذلك حتى ظهور المذاهب الفقهية فقل اجتهاد القاضى وأصبح يحكم وفق قواعد مذهب من المذاهب .

وكان القضاة يرجعون فى الفصل فى الخصومات بين الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يستنبطون الأحكام ، وكانت السنة النبوية لم تدون ولم تجمع

حتى عهد عمر بن عبد العزيز، فكان إذا تعثر أمرا أمام القضاة رجعوا فيه للخلفاء[١٦٣].

ولم يكن القاضى فى أحكامه موكولا إلى الاجتهاد الصرف وإنما كان موكولا إلى الاجتهاد فى فهم الشريعة الإسلامية، وتطبيقها على الحوادث والواقعات[١٦٤] وعلى الرغم من ذلك صارت أصول الأحكام فى الغالب مبنية على أربعة أمور هى كتاب الله وسنة رسوله، والإجماع والقياس[١٦٥] وصار القاضى يجد من خلالها طريقه إلى العلم بأحكام النوازل وتمييز الحق من الباطل.

وكانت وظيفة القاضى فى عهد الخلفاء الراشدين مقصورة على الفصل فى الخصومات المدنية، أما القصاص والحدود فكانت ترجع إلى الخلفاء وولاة الأمصار[١٦٦] إلا أنه مع مرور الزمن لم تقتصر سلطة القاضى على الأعمال القضائية البحتة، بل امتدت إلى أمور دينية أخرى ليس لها علاقة بالقضاء وإنما ضمت إليه لمعرفته بالضرورة للشرع الإسلامى[١٦٧].

وهذه الأعمال تتمثل فى الآتى :

النظر فى أموال اليتامى ومثال لذلك أن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج قاضى مصر أثناء ولاية عبد العزيز بن مروان بن الحكم على مصر (٨٦هـ /٧٠٥م) من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان (٨٦-٨٩هـ/ ٧٠٥-٧٠٧م) عين عريف على كل قوم للنظر فى أموال اليتامى وأضيف إلى عمله هذه الوظيفة[١٦٨]

وأيضا النظر فى الأحباس ومثال لذلك توبة بن نمر قاضى مصر أثناء ولاية الوليد بن رفاعة على مصر (١١٥-١٢٠هـ/ ٧٣٣-٧٣٧م) من قبل هشام بن عبد الملك

(١٠٥-١٢٥هـ) وكانت الأحباس من قبل فى أيدى أهلها وفى أيدى أوصيائهم ، ولم يمت توبة حتى صار للأحباس ديوانا عظيما[١٦٩] .

وأضيفت إلى القضاء ولاية الشرطة ، ومن القضاة الذين تولوا الشرطة مع وظيفتهم عابس بن سعيد الذى تولى القضاء من قبل مسلمة بن مخلد الأنصارى (٦٠-٦٨هـ / ٦٧٩-٦٨٧م) وأقره مروان بن الحكم عندما جاء إلى مصر وجمع له القضاء والشرطة ، وأيضا يونس بن عطية الذى تولى القضاء من قبل عبد العزيز بن مروان (٨٤-٨٦هـ / ٧٠٣-٧٠٥م)[١٧٠] .

ومن الأعمال التى أضيفت إلى القاضى امامة المصلين والخطابة وولاية الحج ، وأخذ البيعة للخليفة أو السلطان ، ومصاحبة الجيوش[١٧١] ، وتولى بعضهم قيادة الجيوش[١٧٢] وأيضا الإشراف على الأحوال الدينية ، والإشراف على المكاييل والعملة[١٧٣] .

ومن الأعمال التى أضيفت إلى القاضى خروجه لرؤية هلال شهر رمضان مع الشهود وقد أضيفت هذه السلطة إلى القاضى فى ولاية عبد الله بن لهيعة على القضاء (١٥٥-١٦٤هـ/ ٧٧١-٧٨٠م) من قبل الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور ، وكذلك أثناء ولاية هاشم بن أبى بكر البكرى قضاء مصر (١٩٤-١٩٦هـ/ ٨٠٩-٨١١م) من قبل محمد الأمين خرج لرؤية هلال رمضان[١٧٤].

وكان بعض القضاة على درجة كبيرة من الكفاية والخبرة التى جعلت بعض الخلفاء يولونهم أمورا خارجة عن اختصاص القضاء ، فقد خول الخليفة عمر بن

عبد العزيز أبا إدريس الخولانى فى النظر فى المظالم[١٧٥] وجمع هشام بن عبد الملك الشرطة والأحداث مع القضاء إلى بلال بن أبى بردة[١٧٦] .

وقد كانت وظيفة القضاء من الوظائف السامية التى تحاط بالهيبة والإجلال كما كان لصاحبها نفوذ كبير يتفق مع خطورة العمل الذى يؤديه .

ونتيجة لكثرة الأعمال المسندة للقاضى فقد اتخذ له نوابا فى الأقاليم[١٧٧] واتخذ القاضى الشهود ليعاونوه فى عمله القضائى البحت ، وكان يطلق على الشهود اسم الشهود العدول حيث يتصفون بالأمانة والعدل ولا يشك فى ذمتهم وكان القاضى يراقب تصرفاتهم[١٧٨] . ولهم رئيس يسمى مقدم الشهود[١٧٩] .

واتخذ القاضى بوابا وحاجبا وأعوانا لإحضار الخصوم وكتابا ومترجمين ومستمعين ، وصار العلماء يحضرون مجلس الحكم للمشاورة فى المشكلات والمناظرة فى المجتهدات[١٨٠] .

وكان المكان الذى يجتمع فيه القاضى بالخصوم يعرف باسم مجلس الحكم وكان مقره مسجد العاصمة الكبير ، وكان القاضى أحيانا يفصل فى أمور الناس وهو فى داره ، وكان مجلس الحكم يعقد علنا فى أيام محدودة[١٨١] ، ويتكون هذا المجلس من القاضى والشهود العدول ، والموقعين الذين يكتبون ما يدور فى الجلسة ، والحجاب الذين ينظمون دخول المتخاصمين[١٨٢] .

وكان تعيين القضاة وعزلهم لا يتأثر بتعاقب الخلفاء وتبدل الولاة وتغيير الدول، ومثال لذلك فقد ولى شريح بن الحارث الكندى قضاء الكوفة منذ خلافة عمر بن

الخطاب رضي الله عنه وحتى خلافة عبد الملك بن مروان[١٨٣] وولى محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى القضاء لبنى أمية ثم ولى القضاء لبنى العباس[١٨٤] .

وهذا يدل دلالة واضحة على استقلال القضاء وعدم تأثره بالاتجاهات السياسية ، وحرص الدولة الإسلامية مع تعاقب حكامها على نزاهة القضاء وإجراء أحكام العدل بين الناس من جهة أخرى .

واستتماما لاهتمام الخلفاء بأمر القضاء صرفوا للقضاة الرزق والعطاء ، وكانت رواتبهم تختلف بين خليفة وآخر وبين عهد وعهد وبلد وبلد وذلك وفقا للأحوال المعيشية .

ومثال لذلك القاضى عبد الرحمن بن حجيرة كان على قضاء مصر من قبل عبد العزيز بن مروان (٦٩-٨٣هـ/ ٦٨٨-٧٠٢م) وكان راتبه فى السنة ألف دينار[١٨٥] ، وكان للقاضى زى معين يتميز به ويمنع القاضى من أخذ الهدايا ، وكان يركب بغلة شهباء ولا يسمح لأحد باتخاذ بغلة مثلها[١٨٦] .

قضاء المظالم:

نظر المظالم هو قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة ، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة[١٨٧] ، فهى وظيفة ممتزجة بين سطوة السلطنة ونصفه القضاء ، وتحتاج إلى علو يد وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المعتدى وكأنه يمضى ما عجز القضاة أو غيرهم عن إمضائه[١٨٨] .

وفى بداية الأمر كانت ولاية المظالم متداخلة مع ولاية القضاء وفرعا منها ومنذ نهاية القرن الأول الهجرى نظم القضاء وتحددت اختصاصاته ، كما نظمت

ولاية المظالم ، وتحددت اختصاصاتها ، وهكذا أصبحت ولاية المظالم تجمع بين خصائص القضاء والتنفيذ معا ، ولذلك لا يسمى من يتولها قاضيا بل يسمى صاحب المظالم أو ناظر المظالم[١٨٩] .

وكان السبب فى ظهور ذلك هو تضخم ظروف الحياة فى الخلافة الإسلامية ويعتبر هذا النظام من أعظم أمور القضاء لأنه يمكن المتخاصمين من اللجوء إليه فى حالة التظلم من حكم أصدره القاضى وخلال عهد الرسول ﷺ لم تدع الحاجة إلى النظر فى المظالم ، وكذلك خلال عهد الخلفاء الراشدين ، لأن الوازع الدينى فى عهدهم كان له سلطان على نفوس المسلمين حيث لم ينتدب أحد من الخلفاء الراشدين للمظالم ، وكان أول من نظر فيها هو عبد الملك بن مروان حيث جعل يوما يتصفح فيه قصص المتظالمين ، وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز يقوم بنفسه للنظر فى المظالم ورد الحقوق لأصحابها ، كما جلس لها من الخلفاء العباسيين الخليفة المهدى ، والهادى ، وهارون الرشيد ، والمأمون والخلفاء من بعدهم[١٩٠] ونشأ ديوان خاص للنظر فى المظالم خلال العصر العباسى ، كان بمثابة هيئة تحكيم أو محكمة استئناف يلجأ إليها المتخاصمون عند اعتراضهم على حكم أصدره القاضى .

وكان مقر نظر المظالم هو مقر الخليفة فى العاصمة ، ويكون عادة فى القصر أو أثناء سيره فى المواكب ، فعلى سبيل المثال كان ناظر المظالم فى القصر الفاطمى يجلس فى مكان خاص بقصرهم يعرف بباب الذهب[١٩١] .

ويذكر الماوردى أن مجلس والى المظالم لا يستغنى عن خمسة أصناف ولا ينتظم نظره إلا بهم ، وهذه الأصناف هى :-

١- **الحماة والأعوان** : لتنظيم المجلس وحمايته ٠

٢- **القضاة والحكام** : لاستعلام ما يثبت عندهم من الحقوق ومعرفة ما يجرى فى مجالسهم بين الخصوم ٠

٣- **الفقهاء** : ليرجع إليهم فيما أشكل ويسألهم عما اشتبه وأعضل ٠

٤- **الكتاب** : ليثبتوا ما جرى بين الخصوم وما لهم وما عليهم من حقوق ٠

٥ – **الشهود**[١٩٢] .

وفيما يتعلق باختصاصات قضاة المظالم فهى الفصل فى النزاع بين الناس والدولة أو أحد أفراد موظفيها فى أى عمل من أعمالها سواء كان فى الحكم أم الإدارة أو فى غيرها ، وقد فصل الماوردى هذه الاختصاصات بالآتى :

- تعدى الولاة على الرعية ٠
- جور العمال فى جباية الأموال من الرعية ٠
- التظلمات المتعلقة بالميزانية وقضايا الدخل والخرج منها ٠
- تظلمات الموظفين فى رواتبهم من نقص أو تأخير فى تسليمها ٠
- رد الغصوب التى استولى عليها ذوى السلطان والأيدى القوية ٠
- تنفيذ ما عجز القضاة عن تنفيذه فى ميدان الأحكام والحسبة والعبادات الظاهرة
- النظر فيما عجز عنه الناظرون من الحسبة فى مصالح العامة ٠
- مراعاة العبادات الظاهرة كالجمع ، والأعياد ، والحج والجهاد ٠
- النظر بين المتشاجرين والحكم بين المتنازعين[١٩٣] ٠

ويشترط فيمن يتولى قضاء المظالم أن يكون جليل القدر، نافذ الأمر عظيم الهيبة ظاهر العفة، قليل الطمع، كثير الورع، وله من علو اليد وعظيم الرهبة ما يقمع به الظالم ويمنعه عن التغلب والتجاذب[١٩٤]، لأنه يحتاج فى نظره إلى سطوة الحكام، وثبات القضاة، فيحتاج إلى الجمع بين صفات الفريقين، وأن يكون بجلالة القدر نافذ الأمر فى الجهتين.

الحسبة:

الحسبة نظام إسلامي قديم قدم الإسلام وتطور بتطور الحضارة الإسلامية، وصار له قواعد وقوانين شملت معظم مناحى الحياة، وأساس هذا النظام هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهذا الأساس له سند شرعى فى القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [١٩٥].

ويجب الأمر بالمعروف إذا ظهر فى المجتمع تركه، وكذلك النهى عن المنكر إذا ظهر فعله، ولذا فإن نظام الحسبة مبنى على الشدة والسرعة فى الفصل[١٩٦] ولذا ما لبث نظام الحسبة أن تطور وتعدى ذلك، إلى واجبات عملية تتفق ومصالح المجتمع وبخاصة سكان المدن حيث كان معظمهم من أرباب الحرف والتجارة.

وهذا النظام باشره الرسول ﷺ بنفسه، حيث كانت أقواله وأفعاله مليئة بنهيه عن المنكر وبأمره بالمعروف حيث نهى عن عبادة الأوثان وأمر بعبادة الله

الواحد الأحد ، كما نهى عن أكل الربا ، ونهاهم عن بيع المعدوم ، وهو بيع الشئ قبل أن يكون أمام المشترى ، ونهى عن أشياء عديدة كانت منتشرة فى المجتمع[١٩٧] .

وكان ﷺ يمر فى الأسواق ويتفقد حال السلع ومدى سلامتها ، حتى أنه رأى بعض السلع وقد أصابها التلف وصاحبها يغش بها الناس ، فقال ﷺ " من غشنا فليس منا " وأن الغاش ليس بمؤمن .

وقال ﷺ: "إياكم والجلوس فى الطرقات" ، كما نهى القرآن الكريم عن التطفيف فى الموازين والمكاييل ، ونهى الرسول ﷺ عن الاحتكار والتسعير[١٩٨]

عن أبى سعيد الخدرى أن الرسول ﷺ نهى عن المنابذة ، وهى طرح الرجل ثوبه بالبيع إلى الرجل قبل أن يقلبه أو ينظر إليه ، ونهى عن الملامسة ، والملامسة لمس الرجل الثوب لا لينظر إليه .

ومن وسائل الرسول ﷺ فى حفظ حقوق العاملين وزجره عن استغلال جهلهم بحال الأسواق والأسعار ، أنه منع تلقى الركبان وبيع الحاضر للبادى – للسمسار – وبيع الرجل على بيع أخيه[١٩٩] .

وقد سار الخلفاء الراشدون على نهج الرسول ﷺ فى إقامة الحسبة بين الناس ، وقد روى أن عمر بن الخطاب ضرب جمالا وقال له حملت جملك ما لا يطيق وروى أنه حرق بيت الرويشد الثقفى لأنه كان يبيع الخمر ، وقال له أنت فويسق ولست برويشد .

وفى العصر الأموى اتسعت الدولة الإسلامية وكثرت مشاكلها وشغل الخلفاء بالأمور الإدارية فأخذوا يعينون من يقومون بعمل الحسبة ، ويدعى المحتسب ،

وأصبح نظام الحسبة فى العصر الأموى له جهاز كبير يتبعه كثير من الموظفين يعاونون المحتسب[٢٠٠] .

وقد اشترط الفقهاء فى المحتسب عدة شروط هى أن يكون مسلما ، حرا ، بالغا، عاقلا ، قادرا والشرط الأخير مهم لأن الحسبة موضوعه للرهبة ، وأن يكون عالم بالمنكرات الظاهرة[٢٠١] .

ومن صفات المحتسب :-

- يجب أن يكون بارعا فى الاجتهاد .
- وأن يعمل بما يعلم ولا يكون قوله مخالفا لفعله حتى لا يتعرض لسخرية الناس من ناحية وتكون دعوته مقبولة من ناحية أخرى لأنه لا يجوز أن يدعوا لشئ يفقده[٢٠٢] ، وأيضا ليتجنب قول الله تعالى فى ذم مثل هذا:

﴿ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[٢٠٣].

- كما اشترط أن يكون مرتب المحتسب من بيت المال ، وكان له زى مميز ، حيث كان يرتدى زى العلماء [٢٠٤] .

مهام المحتسب :

كانت المهام الداخلة تحت وظيفة المحتسب عديدة والجهات الموكلة إلى نظرة كثيرة ولذلك كان يتخذ الأعوان للوفاء بعمله والقدرة على القيام به ، وكان من جملة الأعمال التى ينظر فيها ما يلى :

مهام المحتسب الاقتصادية:

كان من مهام المحتسب الاقتصادية إشرافه على أصحاب الحرف والمهن التى تتعلق بالمجال الاقتصادي فكان يراقب عملية صنع الخبز حيث كان له دفتر خاص يسمى "دفتر المحتسب" يسجل فيه أسماء الخبازين ومواضع حوانيتهم، وكان يخصص لكل حانوت من هذه الحوانيت كمية معينة من الدقيق كل يوم لئلا يختل اقتصاد البلد من قلة الخبز ويلزمهم بذلك[٢٠٥].

وكان المحتسب يزن الخبز حيث كان له وزنا معلوما، وكان يلزم الفرانين بألا يخرجوا الخبز من بيت النار إلا بعد تمام نضجه[٢٠٦].

وكان يأمر الجزارين بعدم ذبح الحوامل من البقر وأن توضع ذيول الماعز معلقة فوق لحومها حتى يعرف الناس نوع اللحوم التى يشترونها، وعلى الجزارين ذبح الحيوانات فى المذابح لا على أبواب دكاكينهم لئلا تتلوث الطريق بالدم والروث[٢٠٧]، وكان يقوم بحملات تفتيشية على المطاعم والشوانين والطباخين والعطارين والنحاسين والحدادين والسقائين، والخياطين والبزازين للاطمئنان على عملهم والتأكد أن أحدا لم يرتكب أية مخالفة، فإذا عثر على شئ من ذلك كان عليه أن يمنعه فى الحال[٢٠٨].

وكان يقوم بترتيب وتنظيم الصناعات المختلفة من خلال إقامة كل صنعة فى مكان خاص بها، وكان الهدف من ذلك هو تسهيل عملية الإشراف عليها ومراقبة ما يتم فيها من صناعات، ولكى لا تتلف صنعة أخرى[٢٠٩].

وكان المحتسب يتأكد من الدراهم والدنانير المتداولة فى الأسواق وأنها غير مزورة ومختومة بخاتم السلطان ، وكان يراقب المكاييل والموازين المتداولة فى الأسواق ويمنع الإحتكار ، ويذكر البائعين بعدم خلط البضاعة الرديئة بالجيدة ، وكان يمنع الكبوديين – بائعى الكبده – من خلط كبود الماعز أو البقر بكبود الضأن ومن خلط البائت بالطازج ، وألا يخلطوا لحوم الإبل بلحوم البقر[٢١٠] .

ولكى يتمكن المحتسب من أداء مهامه الاقتصادية كان يختار لكل صنعة عريفا من بين أفرادها يشرف على أحوال طائفته ، ويطلع على أخبارهم وحيلهم وطرق غشهم حتى يتسنى له مراقبتهم .

مهام المحتسب الاجتماعية :

كان المحتسب وأعوانه يشرفون على أخلاق أفراد المجتمع وكان يحرص على توفر الأمانة والأخلاق الحسنة بينهم ، وكذلك اتباع سلوك حميد والظهور بالمظهر اللائق[٢١١] .

فكان من واجباته الاجتماعية الإشراف على الآداب العامة ومنع اختلاط الرجال بالنساء فى المتنزهات والأسواق والطرقات وغيرها ، كما كان يمنع الناس من التطلع على جيرانهم من النوافذ والأبواب أو من على السطوح[٢١٢] وكان يراقب الحمامات العامة ، ويحافظ على الآداب والأخلاق الحسنة بها ، وكان يمنع النساء من الجلوس على أبواب الحوانيت خاصة حوانيت القطانين والكتانين ، وراقب النساء فى الأفراح ، وكذلك فى الجنائز والمآتم وسلوكهن وسيرهن فى الطرقات والملابس التى كانت ترتديها النساء[٢١٣] .

مهام المحتسب الدينية :

ومن مهام المحتسب الدينية إقامة الشرع وإحياء السنة ، فكان يطبق الأحكام على من يفطر فى نهار رمضان ، وعلى المطلقات اللآئى لا يراعين العدة قبل زواجهن للمرة الثانية[٢١٤] ، وحرص أن تسير الجنازة وفقا لما نصت عليه الشريعة الإسلامية ، وكان يمنع النساء من تتبع الجنائز وكشف وجوههن ورؤوسهن[٢١٥] وكان يهتم بأمر المساجد من حيث عمارتها وتنظيفها وحفظ الأمن بداخلها ، كان يأمر الأئمة فى المساجد بعدم الإطالة فى الصلاة[٢١٦] .

وكان يختار مؤذن المسجد واشترط منه أن يكون ذكرا مسلما عاقلا وكان يختبرهم فى الأوقات ، وكان ينهى عن التغنى فى الآذان وكذلك التطويل[٢١٧] .

وكان يمتحن الوعاظ والقراء ، ولا يجوز أن يعمل بالوعظ إلا من كان عالما بالعلوم الشرعية حافظا لكتاب الله ، والأحاديث النبوية الشريفة ، وأن يكون صالحا فاضلا ذا سيرة محمودة بين الناس[٢١٨] .

وكان يحث الناس على أداء الصلوات الخمس فى مواقيتها وأداء الأمانة وكان يشرف على أهل الذمة ويأمرهم باتخاذ الخيار ، ومنعهم من ركوب الخيل والبغال والحمير وألا يركبوا شيئا من المراكب المحلاة وأن يكون فى أعناق النصارى الصلبان واليهود الجلاجل إذا دخلوا الحمام[٢١٩] ، وشدد على الخمارين وطارد السكارى وعاقب المخالفين .

مهام المحتسب الصحية:

كان المحتسب يشرف على أداء عمل الأطباء والكحالين والمجبرين وغيرهم من أصحاب الحرف التى لها علاقة بصحة الإنسان ، وكان يشترط عليهم خاصة أو يعقد لهم اختبارات فمن ثبت كفاءته سمح له بممارسة المهنة وأعطى تصريحا بذلك من العريف الخاص وكان يراقب عملية صنع الخبز فيطلب من العجانين استعمال أوعية للماء نظيفة وذات غطاء وغسل المعاجين قبل استعمالها وأن يكون العجان ملثما أثناء عمله ، وأن يشد عصابة فوق جبينه تمنع تساقط العرق منه ، ويحلق شعر ذراعية حتى لا يسقط شئ منه فى العجين ، وأن ينخل العجان الدقيق قبل عجنه ، ويكلف شخصا آخر بطرد الذباب بمذبة يمسكها بيده ، ويأمر الفرانين بإصلاح المداخن وتنظيف بلاط الفرن بالكنس من بقايا الخبز المحترقة ، وكان يراقب السقائين ويأمرهم بجلب المياه من داخل البحر حتى يبعد عن مواضع الأوساخ ويأمرهم بنظافة قربهم وتغطيتها وكيزان الشرب التى اشترط فيها عدم استخدام كيزان المجزوم والأبرص[٢٢٠] .

ومن مهام المحتسب الصحية إشرافه على الحمامات وتفقدها كل يوم وكان يأمر ضامن الحمام بنظافته وكنسه وغسله بالماء النظيف بالأشياء الخشنة لئلا يتعلق بها الأوساخ والصابون[٢٢١] .

وكان يشرف على الباعة الجائلين ويأمرهم بتغطية الأطعمة من الذباب والحوام ، وأن يغسلوا أطيافهم بالماء النظيف[٢٢٢] .

وكان للمحتسب سلطة تنفيذية مفوضة إلى رأيه ، وهو ما عرف بالتعزير ، الذى هو نوع من العقاب لم يقرره القرآن الكريم ، وكان يستعين فى تنفيذه بالأعوان[٢٢٣] وشمل التعزير عدة أنواع منه : الردع بالقضاء على شئ محرم ، والتوبيخ بالقول أو الضرب ، بالسوط المتوسط أو الغليظ ، أو بالدره وهى من جلد البقر أو الجمل .

ومن التعزير أيضا النفى من البلد ، والتشهير أو التجريس[٢٢٤] .

وبعد دراسة الحسبة والمحتسب نجد أن الهدف من الحسبة أمر دينى يقضى بالمحافظة على حياة الناس ، وابتغاء مرضاة الله فى جميع تصرفاتهم ، وكان يقوم بذلك المحتسب الذى تطورت وظيفته واتسعت مهامه ، فكان ينظر فى أحوال الرعية ، وكشف أحوال الأسواق ، ومنع التجار من الغش والاحتكار ، وكذلك مراقبة صانعى الأطعمة مثل الخبز واللحوم والحلويات ومراقبة السقائين ، والإشراف على المساجد والتدقيق فى اختيار الأئمة والوعاظ والمؤذنين وغيرها من الأمور التى ذكرناها ، وهكذا كانت الحسبة والمحتسب فى الحضارة الإسلامية نظاما متكاملا يشرف على شتى مناحى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية والصحية .

الشرطة :

الشرطة[٢٢٥] وهى وظيفة من وظائف السيف وموضوعها تنفيذ العقوبات وبعد الفتح الإسلامى امتدت أطراف الدولة الإسلامية إداريا ، وأنشئت الدواوين وبيت المال ، وبعد زيادة الخراج أصبحت المدينة فى حاجة ماسة إلى حراسة ليلية مستمرة ، فخصص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لهذه المهمة بعض الرجال

الذين يتناوبون الحراسة فيما بينهم فى نوبات ودوريات متبادلة ، وسمى هؤلاء بالشرطة لأنهم أعلموا أنفسهم بعلامات يعرفون بها[٢٢٦] .

وكانت وظيفة الشرطة هى توفير الأمن والأمان للمواطنين ، وحراسة مؤسسات الدولة العامة ، وأطلق على الرجال الذين يقومون بهذه المهمة اسم العسس وذلك خلال عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٢٢٧] .

وكان الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه أول من اتخذ صاحب شرطة ، وكان على الشرطة فى عهده عبد الله بن قنفذ التميمى القرشى ، غير أنه لم يكن يسير بين يدى عثمان بن عفان رضي الله عنه بحربة ، ولم تكن هناك جماعة للشرطة[٢٢٨] فكان عبد الله بن قنفذ على الفساد وتتبع الجناة والمفسدين فقط .

واتخذ الخليفة على بن أبى طالب رضي الله عنه فى الكوفة صاحب شرطة هو معقل بن قيس الرياحى ، وقيل أن الشرطة نظمت تنظيما متميزا فى عهد على بن أبى طالب رضي الله عنه ، أو فى عهد بنى أمية[٢٢٩] .

وكان الولاة على الأمصار يتخذون صاحب شرطة لهم ، فكان للوالى فى أغلب الأحيان حق تعيين صاحب الشرطة على أنه كان بمثابة نائب الوالى حيث كان ينوب عنه فى إدارة البلاد أثناء غيابه للحج أو الحرب ، كما كان ينوب عنه أيضا فى إقامة الصلاة[٢٣٠] .

وكان الخلفاء يتدخلون فى بعض الأحيان فى تعيين أصحاب الشرطة ولجأ بعضهم إلى تعيين صاحب الشرطة فى منصب الوالى بعد تنحية الوالى أو وفاته ، وهذا بطبيعة الحال راجعا إلى تمرس أصحاب الشرطة فى الحكم[٢٣١] .

ومثال للولاة الذين كانوا يتخذون صاحب شرطة والى البصرة زياد بن أبيه والذى احتاج إلى زيادة عدد الشرطة فيها للقضاء على المفسدين وأهل العبث فى النهار والليل بسبب الحرب التى كانت قد اشتعلت من سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م وحتى سنة ٤٠هـ/ ٦٦٠م ، وكان زياد قد اتخذ رجلين ولاهما أمر الشرطة وكان يسيران بين يديه بالحربة ولما تنازعا ذات يوم أعفى أحدهما وثبت الأخر[٢٣٢] .

وكان لأبى جعفر المنصور صاحب شرطة على العدوى – المفاسد – وصاحب شرطة للحربة أى يكون ملازما للخليفة ويسير بين يديه[٢٣٣] .

وخلال عهد المأمون عرفت الشرطة نظام المباحث حيث كان له عدد من النسوة العجائز يأتونه كل مساء بأخبار اللصوص وقطاع الطرق والمعارضين السياسيين[٢٣٤] .

وبعدما كان رئيس جهز الشرطة يسمى فى خلافة بنى أمية "**صاحب الأحداث**" سمى فى العصر العباسى " **صاحب الشرطة**" وفى دولة الترك عرف باسم "**والى الشرطة**"[٢٣٥] ، وكان يطلق عليه فى الأندلس اسم " **صاحب المدينة**" واسم الحاكم فى بلاد أفريقية .

مهام صاحب الشرطة :

كانوا يساعدون الولاة فى مهامهم بجانب مساعدة القضاة فى تنفيذه أحكامهم هذا بجانب تنفيذ العقوبات التى كانت تفرض على بعض المخالفين والمذنبين من قبل المحتسب .

كانوا يحافظون على الأمن الداخلى بمنع وقوع الجرائم والقبض على الجناة وإقامة الحدود عليهم[٢٣٦] وتنفيذ عقوبات السجن وغيرها ٠

- ومن مهامهم نشر الفضيلة والمحافظة على الأخلاق الفاضلة ومنع الفساد[٢٣٧]
- وأسندت إليهم بعض المهام الأخرى بجانب الحراسة ومنع الفساد حيث كانوا يساهمون فى إطفاء الحرائق ، وتحصيل الجزية وإصدار الدنانير[٢٣٨] ٠
- وأيضا الإشراف على السجون ومراقبة أسوار المدن وأبوابها ، هذا وكان للشرطة زى خاص وأسلحة خاصة شملت الحربة والطبرزين – وهى عبارة عن سكين طويلة أو بلطة يعلقها فى وسطه ، والسوط الذى كان يصنع من الجلد ٠

السجون وأحوالها :

ظهرت السجون فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولكنها نظمت فى عهد عمر بن عبد العزيز الذى أوجد لها ديوانا يشرف عليها ، وأمر بإعطاء المسجونين رزق الصيف والشتاء وكسوة الشتاء والصيف ، والعناية بمرضاهم ، وألا يفيد أحد فى المحابس بقيد يمنعه من الصلاة ، والفصل بين فئات المسجونين بين من يسجن فى دين ومن يسجن فى جريمة ، وجعل للنساء حبسا على حدة ٠

بينما تذكر سجون الحجاج فى العراق بعدم ملاءمتها للصحة العامة والقسوة فى معاملة المساجين[٢٣٩] ٠

وكانت السجون فى مصر خلال العصر الفاطمى سيئة للغاية ، حيث يصفها المقريزى بقوله "كلها شنيع المنظر والمخبر ، كلها موحش قذر وضيق ، يشم المار بقربه

رائحة كريهة ، ويسمع صراخ المساجين وشكواهم الجوع والعرى ، والقمل وشدة الظلام وكثرة الوطاويط ، أى أن الداخل إليها مفقود والخارج منها مولود"[٢٤٠] .

ويعد حبس المعونة أقدم السجون الفاطمية بمصر (الفسطاط) اتخذه يانس الصقلى أحد ولاة الشرطة سجنا سنة ٣٧١هـ/ ٩٨١م بعدما كان دارا للشرطة ، وأنشأ المستنصر بالله سجنا بخزانة البنود لأرباب الجرائم السياسية من الوزراء والأمراء والأعيان[٢٤١] .

الدواوين :

الديوان : موضع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال .

اختلفت فى أصل كلمة ديوان فقيل أنها ترجع إلى العربية ومعناها الأصلى الذى يرجع إليه ويعمل بما جاء فيه ، ومنه قول ابن العباس : إذ سألتمونى عن شئ من غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فإن الشعر ديوان العرب[٢٤٢] ، ويقال دونته أى أثبته .

ويطلق الديوان على مجتمع الصحف أو الكتاب أو السجل أو الدفتر الذى يكتب فيه أسماء المقاتلين ومقدار ما خصص لهم من عطاء وأرزاق كما صار يطلق على المكان الذى يجلس فيه الكتاب وتحفظ فيه السجلات[٢٤٣] .

نشأة الدواوين :

لم يفرض الرسول ﷺ ، ولا أبو بكر الصديق رضي الله عنه للمسلمين عطاء مقررا ، ولكن كانوا إذا غزوا وغنموا أخذوا نصيبا من الغنائم قررته الشريعة لهم ، وإذا ورد إلى المدينة ما من بعض البلاد ، أحضر إلى الرسول ﷺ وفرق فيهم حسب ما يراه ، وجرى الأمر على ذلك فى خلافة أبو بكر رضي الله عنه .

يذكر الماوردى الدواوين كان فى المحرم سنة ١٠هـ[٢٤٤] ، وبالطبع هذا ليس صحيح لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تولى الحكم من سنة (١٣-٢٣هـ / ٦٣٤-٦٤٤م) وقد تباينت الروايات حول تاريخ وضع الديوان حيث ذكر كل من ابن الأثير[٢٤٥] والطبرى[٢٤٦] أن الخليفة عمر رضي الله عنه دون الدواوين سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م بينما ذكر البلاذرى[٢٤٧] والنويرى[٢٤٨] وابن خلدون[٢٤٩] أن سنة تدوين الدواوين هى سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م والمرجح أن الرواية الأخيرة هى الأقرب إلى الصحيح ، أما الرواية التى تشير إلى أن البداية كانت فى سنة ١٥هـ / ٦٣٦م فيبدوا أن الخليفة بدأ بالفعل فى التفكير بتدوين الدواوين ، وجرت المشاورات واستغرقت وقتا طويلا حتى كانت سنة ٢٠هـ / ٦٤٠م أصبح الديوان قائما .

فلما كانت سنة ١٥هـ / ٦٣٦م خلال خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أن الفتوح قد توالت وأن الأموال قد زادت ، فرأى التوسيع على المسلمين وتفريق تلك الأموال ، ولم يكن يعرف كيف يضبط ذلك فأشار عليه جماعة من الفرس المسلمين بالأخذ بنظام الدواوين عن الدولة الفارسية[٢٥٠] .

وفطن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لذلك وكان أول من وضع الدواوين ورتبها من العرب فى الإسلام[٢٥١] وكان الديوان الذى وضعه هو "ديوان الجند" ولكنه كان يعرف باسم الديوان فقط لأنه الديوان الوحيد فى المدينة ، حاضرة الدولة الإسلامية آنذاك[٢٥٢] وكانت هناك دواوين مماثلة فى الأمصار مثل البصرة والكوفة والشام ومصر وغيرها ، ورأى الخليفة عمر أن يجعل العطاء على حسب السبق فى الإسلام ، ثم استخدم الكتاب فى الدواوين ، وهم رجال مدنيون من أرباب الأقلام ، وكان معظمهم من أهالى البلاد المفتوحة ، وظلت تستخدم فيها لغات غير العربية ، فكان ديوان الشام بالسريانية أو باليونانية ، وديوان مصر بالقبطية وديوان فارس والعراق بالفارسية[٢٥٣] .

تعريب الدواوين :

كانت لغة الدواوين حتى عهد عبد الملك بن مروان فى العراق فارسية وفى الشام الرومية ، ومصر اليونانية[٢٥٤] وكان سرجون ابن منصور يتولى ديوان الشام فأمره عبد الملك يوما فتثاقل عنه وتوانى فيه ، فعاد لطلبه وحثه عليه ، فرأى منه تفريطا وتقصيرا . فأمر عبد الملك سليمان بن سعد والى الأردن ، وكان يتولى له ديوان الرسائل ، أن ينقل ديوان الشام إلى العربية وقد أتم سليمان التعريب فى سنة واحدة[٢٥٥] وكان ذلك سنة ٨١هـ/ ٧٠٠م .

أما ديوان العراق فقد أمر الحجاج بن يوسف الثقفى سنة ٧٨هـ/ ٦٩٧م كاتبة صالح بن عبد الرحمن مولى بنى سعد ، وكان يكتب بالعربية والفارسية[٢٥٦] أن يقوم بتعريب الدواوين ففعل .

أما ديوان مصر فقد نقل إلى العربية سنة ٨٧هـ/٧٠٥م وذلك بأمر من أميرها عبد الله ابن عبد الملك بن مروان فى خلافة الوليد بن عبد الملك ، فصرف عبد الله بن انتناش (القبطى) وجعل عليه ابن يربوع الفزارى من أهل حمص[٢٥٧] .

وكان هناك ديوان خراج فى خراسان وتم تعريبة سنة ١٢٤هـ/ ٧٤٢م فى ولاية نصر ابن سيار من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك[٢٥٨] .

أثر تعريب الدواوين :

كان لتعريب الدواوين أثر مزدوج من الناحيتين السياسية والأدبية ، فمن الناحية السياسية أصبحت لغة الدواوين هى اللغة العربية مما ساعد على تقلص نفوذ أهل الذمة ، والمسلمين من غير العرب ، ومن الناحية الأدبية أصبحت اللغة العربية لغة التدوين فنقل إليها الكثير من الاصطلاحات الفارسية والرومية وابتدأت تظهر طبقة الكتاب منذ ذلك الوقت .

وخلال العصر العباسى أصبح لموظفى الدواوين مكانة كبيرة ، حيث كانت لهم علامات تميزهم عن غيرهم من رجال الدولة ، مثل الدواة والكرسى ، والمخدة والمسند والمرتبة[٢٥٩] وهى أدوات تستخدم فى الكتابة والجلوس فى الديوان ، وكانوا يتميزون فى ملابسهم بعمائم كبيرة تتفاوت فى ضخامتها حسب مراتبهم ، وكان يطلق عليهم أصحاب العمائم[٢٦٠] .

ويذكر قدامة بن جعفر أنه خلال العصر العباسى كان هناك مجلسين لديوان الجيش هما مجلس التقرير ويجرى فيه أمر استحقاقات الرجال ، وتقدير أرزاقهم ، والثانى مجلس المقابلة ويختص بالسجلات وتصفح الأسماء[٢٦١] .

وكان ديوان الجيش فى العصر الفاطمى يتألف من قسمين هما : الأول ديوان الجيش ويتولى تصفح أحوال الجند فمن نجح منهم عرضت دوابه فكان لا يثبت بالديوان إلا الجيد ، والثانى ديوان الرواتب ويشمل أسماء كل مرتزق ، ويشمل راتب الوزير ، وحواشى الخليفة وأرباب الرتب وقاضى القضاة ومن يليه وداعى الدعاة وقراء الحضرة ، وخطباء المساجد ، والشعراء ، ورجال الدواوين ، والمستخدمين فى القصور السلطانية وغيرهم[٢٦٢] .

وكان عمل الدواوين عموما يتلخص فى الإدارة المركزية ، والإدارة المحلية ، تشمل الإدارة المركزية التراسل وشئون المال وتشمل الثانية إدارة الولايات .

ديوان الخاتم :

كان معاوية بن أبى سفيان أول من اتخذ ديوان الخاتم وذلك على أثر التزوير الذى وقع فى إحدى رسائله إلى بعض ولاته[٢٦٣] وقد عرف الختم على الرسائل والصكوك من قبل الإسلام ، وقيل كان للأكاسرة أربعة خواتيم .

فكان على خاتم الحرب والشرط **"الأناة"** .

وعلى خاتم الخراج والعمارة **"التأييد"** .

وعلى خاتم البريد **"الوحاء"** .

وعلى خاتم المظالم **"العدل"**[٢٦٤] .

واتخذ الرسول ﷺ خاتما من فضة ونقش فيه "محمد رسول الله" وكان يختم به الكتب التى كان يبعث بها إلى الملوك والرؤساء ، وختم الخلفاء من بعده

حتى سقط من يد عثمان بن عفان ﷺ فى بئر أريس ، فصنع عثمان آخر على أمثاله[٢٦٥] فلما كان عهد معاوية رتب وظيفته واتخذ له الديوان ، واتخذ كل خليفة من بعد نقشا خاصا لخاتمة ، وكانت الكتب الموجهة من دار الخلافة تمر به وتثبت فيه ، وتختم بخاتم الخليفة فعلى سبيل المثال نقش الخليفة المأمون خاتمة "الموت حق" [٢٦٦] وذلك بعد أن تكون قد مرت على دواوين عدة ، وتم التأكد من صحتها[٢٦٧]، وبلغ من أهمية الخاتم أنه كان الوزير فى العصر العباسى إذا تناوله ليختم به كتابا وقف تعظيما للخلافة وإجلالا لاسم الخليفة[٢٦٨] واستمر هذا الديوان إلى أواسط العصر العباسى ثم ألغى لتحول الأعمال إلى نظر السلاطين[٢٦٩]

ديوان الرسائل :

يبدوا أن تنظيم هذه الوظيفة وترتيب ديوان لها تم فى خلافة عبد الملك بن مروان[٢٧٠] وعرف ديوان الرسائل باسم ديوان الإنشاء[٢٧١] منذ أخريات الدولة العباسية ، وعرف باسم ديوان الإنشاء فى الدولة الفاطمية أيضا .

وكان ديوان الرسائل من الدواوين الجليلة فى الدولة وكان من يتولاه يتمتع بحظوة متقدمة عند الخليفة ، وكان يخاطب فى عهد الفاطميين بالشيخ الأجل ويقال له كاتب الدست الشريف ، وتسلم إليه المكاتبات الواردة مختومة فيعرضها على الخليفة ، ويأمر بالإجابة عنها ، وكان الخليفة يستشير رئيس ديوان الإنشاء فى أكثر الأمور ، ولا يحجب عنه متى أراد المثول بين يدى الخليفة[٢٧٢] .

وقد أصبح عمل هذا الديوان معقدا ، فتعددت اختصاصاته وكثر من يعملون فيه ، فقد وجد فيه كتاب رئيسيون يقومون بالكتابة والإنشاء ، وآخرون مساعدون

يقومون بالتلخيص والتبييض ، وكان لابد للعاملين فيه من إتقان اللغة العربية ، ومعرفة اللغات الأخرى مثل التركية والفارسية ، واليونانية والأرمنية ، وكان به أرشيف توضع فيه أصول كل ما يصدر عنه وله مشرف خاص يسمى "الخازن"[٢٧٣].

ديوان البريد :

البريد هو تبليغ إجراءات ولاة الأمر إلى الأطراف ، وتوصيل الترتيبات المتعلقة بهذه الأطراف إليها ونقل أخبار هذه الأطراف وحاجاتها إلى ولاة الأمر ، ومن ثم الوقوف على مجريات الأمور والأحداث فى الدولة[٢٧٤] ، بمعنى نقل الأوامر الصادرة من الخليفة إلى عماله فى الولايات وإرسال كتب الولاة إلى الخليفة.

قيل فى أصل لفظ البريد أنه فارسى ، وهو بريده دم ، وقيل بريده ذنب ، أى مقصوص الذنب ، لأنه كان من عادة ملوك الفرس أنهم إذا أقاموا بغلا فى البريد قصوا ذنبه ليكون ذلك علامة لكونه من بغال البريد .

وعربت الكلمة وخففت وسميت دابة البريد : بريدا ، والرسول الذى يركبها بريدا ، والمسافة ما بين السكنين أى المحطتين بريدا ، وقدرت هذه المسافة بنحو أربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال ، أى أن مسافة البريد اثنا عشر ميلا [٢٧٥] وتعادل ٨٦٤٠٠٠ ذراع هاشمى ، أو ٥١٨٤٠٠٠ شعيرة معترضة ظهر إحداهما لبطن الأخرى[٢٧٦] .

كان البريد سنة قديمة وأسلوب متبعا فى عهد الأكاسرة من ملوك الفرس والقياصرة من ملوك الروم وبدأ البريد بهذا منذ عهد الرسولﷺ ومن المهام التى أداها البريد زمن الرسول تلك السفارات التى بعثهاﷺ إلى أكابر الملوك والأمراء

كانت مهمتها جميعا هى الدعوة للإسلام ، ومثال لذلك البعثات ، إلى كسرى ، وأمير البحرين وأمير عمان ، وإلى قيصر ، وإلى المقوقس ، وإلى النجاشى وغيرهم ، وهذه البعثات كانت أول عمل قام به ديوان البريد[٢٧٧] .

وبلغ من اهتمام الرسول ﷺ بالبريد أنه أمر عناله أن يبردوا له البريد مع أناس يتوافر فيهم حسن الوجه وجمال الخلقة ، وكان ﷺ حريصا على توافر تلك الصفات فى من بعثهم إلى الملوك المعاصرين له ، وذلك لعلمه بأن المبعوث إنما هو لسان مترجم لرغباته وآرائه ، وإذا لم يكن كذلك خسر مهمته ورجع على مرسله بالخسران المبين[٢٧٨] .

ومن نواحى اهتمام الرسول ﷺ بالبريد أنه اتخذ الخاتم وختم به أبو بكر وعمر وعثمان من بعده ، وسبب اتخاذ الخاتم أنه قيل أن العجم لا يقبلون كتابا إلا أن يكون مختوما ، لأنهم يرون ختم الكتب تعظيما للمكتوب إليه[٢٧٩] .

ومنذ عهد الرسول ﷺ كانت أخبار الجيوش الإسلامية فى ميادين القتال، وأحوال الأمور فى الولايات تصل إلى ولاة الأمر فى حاضرة الدولة باستمرار، وكانت توجيهات ولاة الأمر تصل الأمصار ، والاتصال بين الجانبين لا ينقطع[٢٨٠]

البريد زمن الراشدين :

ورث أبو بكر الصديق رضي الله عنه البريد عن الرسول ﷺ وذلك لكثرة الفتوحات ، وقيام حركة الردة مما جعل الأمر يستلزم الإبقاء على نظام البريد والاهتمام به ، وكان البريد يخرج من المدينة إلى ميادين القتال ، وقد حرص الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على إرسال البريد إلى عماله يأمرهم بإعلان الناس عن مواعيد خروج

البريد إلى المدينة[٢٨١] وحافظ عثمان بن عفان رضي الله عنه على نظام البريد حيث كان يستقصى الأخبار وهو فى المسجد وكان يفعل ذلك يوم الجمعة على وجه الخصوص[٢٨٢] .

بريد الأمويين :

لما آلت الخلافة إلى معاوية بن أبى سفيان واتخذ من دمشق عاصمة للدولة الإسلامية ، أنشأ ديوان الخاتم لتنظيم البريد ، وأمر بإحضار الدهاقين من الفرس ، وأهل عمال الروم وعرفهم ما يريد فوضعوا له البريد[٢٨٣] وبذلك كان معاوية أول من وضع البريد لوصول الأخبار بسرعة[٢٨٤] وفى خلافة عبد الملك بن مروان حظى البريد بمزيد من العناية والتنظيم[٢٨٥] وخص لديوانه رجلا من ثقاته الأوفياء هو قبيصة بن ذؤيب كان يقرأ الكتب الواردة من الأقاليم ويخبر عبد الملك بما جاء فيها[٢٨٦] .

ثم يأتى من بعده ابنه الوليد الذى زاد من مهام البريد حيث جعل خيله وابله تحمل الفسيفساء من القسطنطينية إلى دمشق ليبطن بها حوائط المسجد الجامع بدمشق ، ومساجد مكة ، والمدينة والقدس الشريف[٢٨٧] واهتم عمر بن عبد العزيز بإنشاء خانات للبريد على جوانب الطرق الرئيسية خصوصا بطريق خرسان ليبيت فيها الناس ، وأمكنة يقيم فيها الدواب من خيل وجمال ، ومياه فى الأحواض للشرب[٢٨٨] .

البريد العباسى :

اهتم المهدى بالبريد حيث أقام طريق للبريد بين مكة والمدينة واليمن ولم يكم هناك بريد قبل ذلك ، ولم يكتف المهدى بذلك بل اهتم بطريق البريد ومنازله وأقام فيها البغال والإبل[٢٨٩] .

واستخدم الخلفاء العباسيون البريد كوسيلة من وسائل استتاب الأمن وقمع الثورات ، ولما آلت الخلافة إلى هارون الرشيد أشار عليه يحى بن خالد البرمكى بإجراء البريد والاهتمام به ، وبين له فوائده والمزايا التى تجنيها الدولة من العناية به، فأمره الرشيد بإقراره ، وكان يحى خير من يضع الأمور فى نصابها فصب نظام البريد فى قالب جديد وجعل له المراكز والبغال وكان لا يجهز عليه إلا الرشيد أو صاحب الخبر[٢٩٠] وظهرت أهمية البريد خلال عصر الأمين والمأمون وذلك من بغداد إلى خرسان[٢٩١] .

والبريد فى تاريخ الحكم الإسلامى شمل ثلاثة أنواع هى :

الأول : البريد البرى :

وكانت طرقه تمتد من عاصمة الدولة نحو الأمصار ، وتنتشر على هذه الطرق منازل أو محطات للبريد ، هذه المحطة فى الغالب تتألف من خان ومسجد وسقاية ، وفيها دواب البريد ومن يتعدها بالخدمة والعناية [٢٩٢] ، وكانت دواب البريد تضم البغال والخيل والإبل ، وكانت معلمه بعلامات مميزة ، وكانت تعرف بـ " دواب البريد " وكان توفير الدواب للبريد يتم بطريقتين :

الأولى : ربط الدواب والعناية بها فى الإصطبلات التى كانت تعرف بالإصطبلات السلطانية .

والثانية :إعطاء إقطاعات للعربان النازلة بالقرب من محطات البريد وتكليفهم بتقديم ما يلزم من الخيل للبريد [٢٩٣] وعرفت هذه الخيول باسم خيل الشهارة [٢٩٤] وقد استخدمت النجب من الإبل وكانت العرب تفضلها على غيرها لأنها أسرع من الخيل وأصبر على السير ، وكان يطلق اسم النجابون على من ركبها فى هذا السبيل[٢٩٥] .

واستعين فى أغراض البريد بوسيلة أخرى وهم الرجال الذين أطلق عليهم اسم الفيوج أو السعادة ، وهم رجال خفاف تعودوا على الجرى والصبر على السير حتى كان أحدهم يقطع ثلاث مراحل فى مرحلة واحدة ، وقيل أن بعض رجال البربر كان يتبع الفارس فيلحقه ، ويجرى وراء الغزال فيقتنصه[٢٩٦] .

ويذكر القلقشندى كيفية نقل الخبر بالبريد بقوله : كانت الرسالة تخرج بما يرسم به لمن يركب فى المهمات السلطانية وغيرها ، وكان للبريد ألواح من نحاس أو فضة ، كان اللوح منها بمقدار الكف أو نحوها ، منقوشة على أحد وجهيه ألقاب السلطان ، وعلى الوجه الآخر "لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون" .

وهذه الألواح كان بها شرابة من حرير أصفر ، فإذا حضرت الرسالة إلى كاتب السر دفع إلى البريدى لوحا من تلك الألواح فيجعلها البريدى على صدره ، وشرابة الحرير الأصفر يعلقها فى رقبته ، وكتب إلى صاحب الإصطبل السلطانى ليفرج له

عما يلزم من الخيل ، ويختم الكتاب وتسلم إليه ، ويكتب له ورقة بالطريق الذى يتوجه بسببه فى دفتر – ديوان الإنشاء – الرسائل – ولذلك كان ديوان الإنشاء أو الرسائل وديوان البريد مضافين إلى نظر متولى واحد[٢٩٧] .

البريد الجوى :

وكانت وسيلة الحمام الزاجل الذى كان يتخذ لحمل المكاتبات على شكل بطائق تعلق به ويعرف باسم الهدى من الوسائل التى انتشرت فى العصور الإسلامية والوسطى وقد اعتنى بحمام المراسلات خلفاء بنى العباس وتنافس الناس فى العراق وخاصة بالبصرة فى اقتنائه ، وصار الحمام متجرا من المتاجر بين الناس ، وبلغ ثمن الطائر الفاره منه سبعمائة دينار ، وشاع استعماله زمن السلطان نور الدين محمود وفى زمن الفاطميين ، بلغت مسافات طيرانه ما بين القاهرة والبصرة وبين القاهرة ودمشق ، وأقيمت له الأبراج فى الطرق ، وكان يوضع فى أبراج دمشق من حمام مصر ، ومن حمام دمشق فى أبراج مصر[٢٩٨] .

وكانت الرسائل التى يحملها هذا الحمام من ورق خفيف يسمى بطائق أو ورق الطير ، تحمل تحت جناح الحمام لحفظها من المطر ، ثم حملت بعد ذلك فى الذنب وكان يكتب فى هذه الرسائل أمور مختصرة من لب الكلام من غير حشو ، وتؤرخ بالساعة واليوم ولا داعى للسنين وحرصا على وصول الرسالة كانت الرسالة تكتب من صورتين ترسلان مع حمامتين تطلق أحدهما بعد الأخرى[٢٩٩] حتى كان الحمام يصبغ بلون أزرق كلون السماء حتى لا يرى أو يطلى بلون السواد لكى لا يراه العدو إذا أطلق ليلا[٣٠٠] .

وكان حمام البريد يميز بعلامات " دغامات " فى أرجلها أو على مناقيرها ، وكانت الرسالة إذا مرت بمركز ما كتب الوالى بمرورها إلى أن تصل مختومة [٣٠١]

وجرت العادة ألا يطلق الحمام فى الجو الممطر ، ولا أن يطلق قبل تغذيته الغذاء الكافى[٣٠٢] وكانت مغارات الحمام "الأبراج" على بعد أطول مسافة من محطات البريد البرى حيث كانت المسافة بين الواحدة والأخرى تبلغ ثلاثة عشر ميلا[٣٠٣] وأقام لها نظار وحراسا يراقبون وصول الحمام نهارا وليلا خوفا من أن يمر عليهم وهم عنه غافلون ، وكانت أسرع أنواع الحمام تقطع من ٤٠ إلى ٥٠ ميلا فى الساعة ، وأقل الأنواع سرعة تقطع من ٢٥ إلى ٣٠ ميلا ، وكان متوسط طيران الحمام ٣٥ ميلا فى الساعة[٣٠٤] .

البريد البحرى :

حيث كانت تستخدم المراكب البحرية ، ويقول الحسن بن عبد الله وإذا كانت البلاد بحرية فليكن لصاحب الخبر مراكب خفيفة سريعة وكان الحجاج بن يوسف الثقفى أول من أجرى فى البحر السفن المقيرة السمسرة غير المخرزة والمدهونة[٣٠٥] .

وهناك طريقة أخرى للبريد المائى وهى أن توضع الرسالة ضمن صندوق محكم الأقفال ويجعل نقله متوازنا بحيث لا يطفو على وجه الماء ولا يغرق فى قاعه بل يكون متوسطا بينها منعا لظهوره أو وقوفه على الأرض ، ثم يلقى فى النهر أو الترعة فيندفع بالماء لغاية مركز الجيش الآخر وهناك يقع فى شباك معدة[٣٠٦] .

ومن طرق البريد المائى أنه كانت تكتب الرسالة وتعلق فى قصبة وتغرس القصبة فى باقة حشيش وتلقى فى الماء فيعوم الحشيش ولا يزال جاريا بمجرى النهر حتى يراه المرسل إليه[٣٠٧] .

التخاطب بالمشاعل والطبول :

بجانب طرق البريد التى ذكرناها عرفت الدولة الإسلامية طريقة نقل الرسائل والإشارات عن طريق إشعال النيران حيث وضع نظام لاستعمالها وعمال لمراقبتها ، وعرفت الأماكن التى تشعل فيها النيران بالمناور ، ومواضع رفع النار فى الليل والدخان فى النهار وذلك للإعلام بقدوم عدو[٣٠٨] وكانت هناك شارات يتفق عليها المنورين عند نقل الخبر ، وقد نشر العرب هذه المناور من الإسكندرية حتى طنجة على طول الساحل الأفريقى الشمالى ، فإذا وقعت واقعة ذات خطورة أوقدت النيران من طنجة ولا تزال من برج إلى أخر حتى يبلغ ذلك الإسكندرية فى ليلة واحدة ومن طرابلس إلى الإسكندرية تصل الرسالة النارية فى ثلاث ساعات إلى أربع ساعات[٣٠٩] .

أما الطبول فقد استخدمت أيضا للتخاطب ونقل الأوامر ومثال لذلك أن الأفشين قائد الخليفة المعتصم بالله العباسى عندما كان يحارب الثائر بابك الخرمى وتعذر اتصاله بجنده فى ميدان القتال لكثرة الدروب وتشعب الطرقات بين جبال أذربيجان العظيمة الارتفاع والكثيرة الالتواء استعان بالطبول لإعلان قواته بحركات سيره ووقوفه ، وبلغت طبوله الكبار واحد وعشرين طبلا [٣١٠] .

ديوان الطراز:[٣١١]

كان ديوان الطراز معروفا لدى الفرس والروم ، إلا أن هذه الوظيفة لم تنشأ فى عهد الرسول ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وذلك لبعد الحكم الإسلامى فى هذه الفترة عن أبهة الملك وفخامة السلطان إنما ظهرت فى عهد بنى أمية[٣١٢]

وكان ديوان الطراز يشرف على دور الطراز، المعامل ، المصانع[٣١٣] التى كانت تقوم بصناعة الثياب والملابس الخاصة بالخلفاء والسلاطين وحاشيتهم ، كما كان يصنع بها الشارات والأعلام والفساطيط وملابس الجند وغيرها ، وكان الخلفاء يقلدون هذه الوظيفة بخواص دولتهم وثقات مواليهم ، فكان صاحب ديوان الطراز ينظر فى أمور الصباغ والآلة والحاكة فى دور الطراز وإجراء رزقهم ومشارفة أعمالهم، ولما تعددت الدول وضعفت تعطلت وظيفة ديوان الطراز[٣١٤] .

ديوان الصدقات:

ويقوم هذا الديوان بالنظر فى الأموال المستحقة فى أموال المسلمين ، وهى أموال ظاهرة لا يمكن إخفاؤها كالزرع والثمار والمواشى ، وأموال باطنة يمكن إخفاءها كالذهب والفضة وعروض التجارة[٣١٥] وإذا أخذت زكاة هذه الأموال صار الحال إلى توزيعها فى الأصناف الثانية التى ذكرها الله تعالى فى كتابة العزيز:

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾[٣١٦] .

- **الفقراء** : هم الذين لا شئ لهم .
- **المساكين** : أسوأ حالا من الفقير لأن المسكين هو الذى أسكنه العدم .
- **المؤلفة قلوبهم** : هم المسلمون حديثا أو الذين أضيروا بسبب إسلامهم .
- **معنى الرقاب** : ما ينفق من الزكاة لتحرير العبيد.
- **الغارمون** : هم الذى استدانوا لحاجة وعجزت مصادرهم عن سداد ديونهم.
- **وفى سبيل الله** : الغزاة الذين لم يفرض لهم فى ديوان العطاء.
- **ابن سبيل** : هو المسافر المنقطع الذى لم يتبق معه ما يستعين به على سفره.
- **العاملين عليها** : هم عمال الزكاة أو جامعوها ، فيدفع لهم أجرهم.

ديوان النفقات :

وكان من اختصاصه النظر فى مصروفات الدولة ، واستمر عمل هذا الديوان خلال العصر العباسى ، وصار يضم المجالس التالية :

- **مجلس الجارى** : ويختص بأمر استحقاقات الحشم .
- **مجلس الإنزال** : ويقوم بمحاسبة التجار الذين يتولون تقديم الطعام فى حالة الإقامات والإنزال .
- **مجلس الكراع** : ويباشر أمر العلوفة الخاصة بالدواب وسياستها وعلاجها وأرزاق القائمين عليها .
- **مجلس البناء والمرمة** : ويتولى محاسبة الزراع والمهندسين والصناع وباعة مواد البناء .
- **مجلس الحوادث** : ويقوم بتولى أمر النفقات الطارئة .

• مجلس الإنشاء ومجلس النسخ لتسجيل كل ذلك [٣١٧] .

ديوان بيت المال :

ويعرف بالديوان السامى ، وهو أصل الدواوين ومرجعها إليه ، ووظيفته ثبت جميع أصول الأموال السلطانية على أصنافها من عين وغلال وفئ وغنائم وأعشار وأخماس ويثبت ما تحصل من ذلك ، ويتخذ بيوتا لأصناف الأموال ويجعل عليها دواوين وحرسا ، فالأموال والقماش لها ديوان الخزانة ، والغلال لها ديوان الأهراء ، والأسلحة والذخائر لها ديوان خزائن السلاح[٣١٨] .

ويكون لصاحب هذا الديوان علامة على الكتب والصكاك والاطلاقات يتفقدها الوزير وخلفاؤه ويراعونها ويطالبون بها ، وكان الوزير يطالب صاحب المال برفع حساب فى كل أسبوع ، ليعرف ما حل وما قبض وما بقى[٣١٩] وكان من واجبات صاحب بيت المال أن يقدم فى آخر كل شهر حسابا كان يطلق عليه اسم "الختمة" وحسابا فى آخر السنة يسمى ختمة جامعة[٣٢٠] .

وإلى جانب هذه الدواوين التى بدأت فى عهد الخلفاء الراشدين أو فى عهد الخلفاء من بنى أمية واكتسبت فى العهود التالية مزيدا من الترتيب والتنظيم فى الغالب ظهرت هناك دواوين أخرى ترجع فى معظمها إلى العصر العباسى ومن عاصرهم أو من جاء بعدهم ومنها الآتى :

- ديوان الأحشام : وهو ديوان الذين كانوا فى خدمة البلاط .
- ديوان الحوائج : واختص بجمع الرقاع – الشكاوى – من المشتكين وتقديمها للخليفة .

وقد ذكر اليعقوبى هذين الديوانين فى عداد الدواوين التى نقلها أبو جعفر المنصور إلى بغداد سنة ١٤٦هـ / ٧٦٣م حين أتم بناءها[٣٢١] .

- ديوان المصادرين : لتسجيل أسماء من صودرت أموالهم ومقدار ما صودروا عليه.
- ديوان الضياع : واختص بإدارة ضياع الخليفة وأسرته وجميع هذه الدواوين كانت فى خلافة أبى جعفر المنصور[٣٢٢] .
- ديوان الصوافى : وكان يتولى إدارة الأراضى التابعة لنظر خليفة المسلمين[٣٢٣].
- ديوان الموالى والغلمان : واختص بتسجيل موالى الخليفة وعبيده [٣٢٤].
- ديوان المواريث : وكان يختص بأموال من لا وارث له أو توفى ويرث أقاربه جزء من تركته فيصبح الجزء الباقى من حق ديوان المواريث الغاه الخليفة المعتضد سنة ٢٨٣هـ / ٨٩٦م ، حيث أمر برد الفاضل من تركة المواريث على ذوى الأرحام[٣٢٥] .
- ديوان الجهبذه : وكان يتولى النظر فى الحسابات المالية وتدقيق موارد المال وبقايا أموال المطالبات التى كان يتعذر على أهل الخراج أداؤها فى وقت المطالبة[٣٢٦] .
- ديوان الأكرة : وكان يشرف على القنوات والترع والجسور وشئون الرى
- ديوان الماء : وكان يحفظ فيه خراج كل من أرباب المياه وينظر فيما يملكه أرباب المياه من الماء وما يباع وما ينقص منه[٣٢٧] .

وذكر المقريزى من الدواوين عند الفاطميين ديوان النظر، وكان ينظر فى دواوين المال، وديوان المجلس وكان ينظر فى الإقطاعات[٣٢٨].

ومما سبق يلاحظ كثرة الدواوين ونجد أن سبب ذلك هو اهتمام ولاة الأمر بشئون الدولة والأمة، فكلما ظهرت مصلحة الأمة فى شئ سارع الحكام إلى إنشاء دائرة – أى ديوان – لرعايتها والقيام على شئونها.

ولذا كثرت الدواوين، وكبر الجهاز الإدارى فى الدولة الإسلامية متماشيا مع المصالح وكثرتها.

غير أن الضعف الذى صار إليه شأن الخلافة بعض الوقت خلال القرن الثالث الهجرى وفى القرن الرابع الهجرى أدى إلى ضعضعة الجهاز الإدارى، لاستيلاء الأتراك على أمور الدولة وبخاصة فى عصر إمرة الأمراء، ومضايقتهم للعمال حتى اضطرهم إلى بذل المرافق لهم، فاقتنى الأتراك الأملاك، وتغلبوا على حقوق بيت المال، وتشبه بهم الديلم – البويهيون – فكسروا على السلطان حقوقه وانقطعت الحمول إلى بغداد وأزيلت سوق الدواوين وأبطلت[٣٢٩].

كان المسجد الجامع أول الأمر مركز الإدارة مثلما كان مركز العبادة والمجمع والمحكمة وديوان المال والمدرسة وكل ما له علاقة بالسلطان والسكان، ثم انفصلت هذه الوظائف عن المسجد عدا وظيفة العبادة، واستقلت بمنشئات أقيمت خاصة لهذه المصالح، ففى بغداد كان حول القصر بيت المال، وخزائن السلاح، وديوان الرسائل، وديوان الخراج، وديوان الخاتم، وديوان الجند، وديوان الحوائج، وديوان الأحشام، وديوان النفقات[٣٣٠].

وكانت الدواوين خلال العصر الفاطمى موجودة بدار الإمارة إلى جوار الجامع الطولونى بالقاهرة ، ثم نقلها يعقوب بن كلس وزير الخليفة العزيز بالله إلى داره ، فلما مات يعقوب نقلها العزيز إلى القصر ، ثم بنيت لها دار أطلق عليها ، "دار الملك" ونقلت الدواوين إليها ثم أعيدت من بعد ذلك إلى القصر[٣٣١] .

وكان يقوم بوظائف الديوان فئة من الناس أطلق عليهم اسم "الكتاب" وكان يشرف عليهم رئيس أطلق عليه اسم "صاحب الديوان" أو متولى الديوان وكان أصاحب الدواوين فى حاضرة الدولة مسئولين أمام الخليفة وفى الولايات مسئولين أمام الوالى ، ولما استحدث منصب الوزارة ، صارت أمور الدواوين ترجع إلى نظر الوزير نيابة عن الخليفة فى كل ما يتصل بها من تعيين وعزل واستحداث واستغناء، ويتصفح أحوالها وسير أعمالها وضبط أمورها .

مصادر ومراجع الفصل الثاني

١. سورة النجم :آية ٣،٤ .

٢. محمد الخضرى : محاضرات فى تاريخ الأمم ، جـ٢ ، ص١٥٦ .

٣. سورة آل عمران:الآية ١٤٤، محمد الخضرى:الأمم الإسلامية ، جـ٢، ص١٥٦.

٤. محمد بطاينه : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٤١ .

٥. سورة المائدة : آية ٣ .

٦. فتحية النبراوى : نظم الدولة الإسلامية في المشرق "دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية" المجلد الثانى ، ص١٦٦ .

٧. أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٨٢ .

٨. محمد الخضرى : الأمم الإسلامية ، جـ١ ص١٦٢ ، محمد بطاينة : تاريخ الحضارة ، ص٤٤ .

٩. ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ١ ص١٧٨ ، ابن قتية : الإمامة والسياسة، جـ١ ص١٣ .

١٠. الماوردى:الأحكام السلطانية، ص٧، أبو زيد شلبى:الخلفاء الراشدين ، ص٦ .

١١. الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص٧،٨ ، الغزالى : إحياء علوم الدين، جـ٢ ص٣٤ ، أبو زيد شلبى : الخلفاء الراشدون ، ص١-٢

Rosenthal. , F : political thought in medieral Islam , cambridge , 1962 .p34 .

١٢. على ابن أبى بكر الهروى : التذكرة الهروية فى الحيل الحربية ، ص٨ .

١٣. ابن خلدون : المقدمة ، ص٢٠٠ .

١٤. عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٢٨ ، ٢٩ ،إبراهيم العدوى: تاريخ الوطن العربى وحضارته ، ص١٩٣ ٠

١٥. أنظر السجلات المستنصرية ٠

١٦. الجهشيارى : الوزارة والكتابة ، ص١٥ ٠

١٧. ابن خلدون : المقدمة ، ص١٨٢ ٠

١٨. ابن خلدون : المقدمة ، ص١٨٥ ٠

١٩. ابن خلدون : المقدمة ، ص١٣٣ - ١٣٧ ، على حسنى الخربوطلى : العرب والحضارة ، ص١٤٦ ٠

٢٠. حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص١٧٢ ٠

٢١. على حسنى الخربوطلى : العرب والحضارة ، ص١٤٨ ٠

٢٢. الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص٩ ٠

٢٣. ابن خلدون : المقدمة ، ص١٣٧ ٠

٢٤. إبراهيم طرخان : دولة المماليك الجراكسة ص ٣٣٢- ٣٣٦، على حسن الخربوطلى : العرب والحضارة ، ص١٤٧ ٠

٢٥. الشورى : آية ٨٣ ٠

٢٦. آل عمران آية ١٥٩ ٠

٢٧. ابن سعد : الطبقات جـ٢ ص١٤١ ، ١٩٦ ، البلاذرى : أنساب الأشراف جـ٥ ، ص١٥ ٠

٢٨. أبو زيد شلبى : الحضارة الإسلامية ص٨٥ ٠

٢٩. محمد بطاينة : الحضارة الإسلامية ، ص٥٤ ٠

٣٠. الماوردى : الأحكام ، ص١٩٩ ٠

٣١. أبو يوسف:كتاب الخراج ص ٦٦،أبو زيد شلبى:الحضارة الإسلامية،ص٨٦

٣٢. أبو زيد شلبى : الحضارة الإسلامية ، ص٨٦ ٠

٣٣. الطبرى : تاريخه جـ١ ص١٧٧ ، ابـن خلكـان : وفيات ، جـ١ ص٢٨٨ ، إبراهيم بركات : السياسة والمجتمع ، ص١٤٨ ،

٣٤. ابن حجر : الإصابة ، جـ١ ص٥٢٤ ٠

٣٥. الطبرى: تاريخه جـ٦ ص٤٢٧ ، محمد بطاينة : الحضارة الإسلامية ، ص٥٥ ٠

٣٦. محمد بطاينة : الحضارة الإسلامية ، ص٥٦ ، ٥٧ ٠

٣٧. الطبرى : تاريخه ، جـ٨ ، ص١٤ ، ٩٢ ٠

٣٨. الطبرى : تاريخه ، جـ٨ ، ص٢٠٧ ، جـ٩ ، ص٣٦ ٠

٣٩. محمد بطاينة : الحضارة الإسلامية ، ص٥٧ ٠

٤٠. محمد بطاينة : الحضارة الإسلامية ، ص٥٨ ٠

٤١. ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص٢٧٧ ٠

٤٢. حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص٦٨-٧٣ ٠

٤٣. حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص٩١ ٠

٤٤. ابن خلدون : المقدمة ، ص١٨٦ ٠

٤٥. سورة طه الآيات ٢٩،٣٢ ٠

٤٦. سورة الفرقان الآية ٣٥

٤٧. ابن بحشل : تاريخ واسط ، ص٢٠٦ ٠

٤٨. الماوردى : الأحكام السلطانية : ص٢٤-٢٦ ٠

٤٩. حمدى المناوى : الوزارة والوزراء ، ص١٠ ٠

٥٠. أحمد أمين : ضحى الإسلام ، جـ٣ ، ص١٦٤ ٠

٥١. سورة القيامة آية ١١ ٠

٥٢. الماوردى : الأحكام ، ص١٤ ٠

٥٣. ابن خلدون : المقدمة ، جـ٢ ص٦٠٣ ٠

٥٤. اليعقوبى : تاريخه ، جـ٢ ص٨ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٢ ص١٣٠ ٠

٥٥. الطبرى : تاريخ جـ٣ ص٢٢٠ ٠

٥٦. محمد بطاينة :فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ص٦٠ ، حمدى المناوى : الوزارة والوزراء، ص١٢ ٠

٥٧. فتحية النبراوى : النظم الإسلامية ، ص١٨٤ ٠

٥٨. ابن خلدون : المقدمة ، جـ٢ ص٦٠٣ ، ضياء الدين الريس : النظريات السياسية الإسلامية، ص٢٢٣ ٠

٥٩. الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص٨٤-٨٦ ٠

٦٠. ابن الطقطقى : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٥٦ ٠

٦١. الطبرى : تاريخه ، جـ٨ ص٢٣٣-٢٦٥ ٠

٦٢. القلقشندى : صبح جـ٣ ص٤٧٨ ٠

٦٣. ابن خلدون : المقدمة ، ص١٧٩ ٠

٦٤. **على ابن أبي بكر الهروى** : كتاب التذكرة الهروية ص٩ ٠

٦٥. **محمد ضيف الله** : تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ص٦٩ ٠

٦٦. **ابن طقطقى** : الفخرى فى الآداب السلطانية : ص٢٣٢، ٢٤٤ ، ٢٨٠ ٠

٦٧. **الماوردى** : الأحكام السلطانية ، ص٢٧ ٠

٦٨. **الماوردى** : الأحكام السلطانية ، ص٢٨ ٠

٦٩. **الماوردى** : الأحكام ص٢٨ ٠

٧٠. **فتحية النبراوى** : النظم الإسلامية ، ص١٨٦ ٠

٧١. **الماوردى** : الأحكام السلطانية ، ص٢٨،٢٩ ، **عبد المنعم ماجد** : نظم الفاطميين ، ص٨٤ ٠

٧٢. **إبراهيم العدوى** : تاريخ الوطن العربى وحضارته ، ص١٩٤ ٠

٧٣. **ابن خلدون** : المقدمة ، ص١٧٨ ٠

٧٤. **ابن خلدون** : المقدمة ، ص١٧٩ ، **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٦٩ ، **عبد المنعم ماجد** : الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، ص٣٤ ٠

٧٥. **فتحية النبراوى** : النظم الإسلامية ، ص١٨١ ٠

٧٦. **ابن هشام** : السيرة النبوية ، جـ٤ ص٢٤٦ ، **خليفة بن خياط**: تاريخه ، ص٩٦،٩٧ ، **أبو زيد شلبى** : الحضارة ص١٧٥ ٠

٧٧. **الطبرى** : تاريخه ، جـ٢ ، ص٤٠٠ ، **أبو زيد شلبى** : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص١٧٥

٧٨. **أبو زيد شلبى** : الحضارة ، ص١٧٦ ، **محمد الخضرى** : تاريخ الأمم الإسلامية ، ص٢٤٢،٢٤١ ٠

٧٩. **خليفة بن خياط**:تاريخ خليفة بن خياط، ص١٢٣، **الطبرى** : تاريخ جـ٣ ص٤٢٧.

٨٠. **أبو يوسف** : الخراج ، ص٦٦ ٠

٨١. **عبد الرحمن سالم** : النظام السياسى ، ص٩٢ ٠

٨٢. **الماوردى** : الأحكام السلطانية ، ص٣٠ ٠

٨٣. **الماوردى** : الأحكام السلطانية ، ص١ ٠

٨٤. **فتحية النبراوى** : النظم الإسلامية ، ص١٨٢ ٠

٨٥. **الطبرى** : تاريخ جـ٤ ، ص٢٠٣ ، جـ٥ ص٣١٦ ٠

٨٦. **الطبرى** : تاريخ جـ٨ ، ص٣١٥ ٠

٨٧. **الهروى** : التذكرة والهروب ، ص١٠ ٠

٨٨. **إمارة الاستيلاء** : هى التى تعقد عن اضطرار ، فهى أن يستولى الأمير بالقوة على بلاد ويضطر الخليفة إلى تفويض تدبيرها وسياستها إليه استدعاء لطاعة الأمير المستولى ، وحرصا على اجتماع الكلمة ووحدة الدولة ، مثل الدويلات المستقلة فى الدولة الإسلامية،**الماوردى الأحكام** : ص٣٣ ، ٣٤

٨٩. **الماوردى** : الأحكام السلطانية ، ص٣٣ ٠

٩٠. **الماوردى** : الأحكام السلطانية ، ص٣٣ ٠

٩١. **الماوردى** : الأحكام السلطانية ، ص٣٣ ٠

٩٢. **الكندى** : الولاة والقضاة ص٣٢ ، **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر ، ص١٠٥ ٠

٩٣. أبو المحاسن : النجوم ، جـ٢ ، ص٣٠٨ ٠

٩٤. محمد بطاينة :فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ص٧٨ ، ٧٩ ٠

٩٥. ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، جـ ٢ ص ١٤٣.

٩٦. الخربوطلى : العرب والحضارة ، ص٢٦٣ ٠

٩٧. عبد الرحمن سالم : النظام السياسى والمالى فى الإسلام ، ص٩٤ ٠

٩٨. عبد الرحمن سالم : النظام السياسى والمالى ، ص٩٤ ٠

٩٩. الخربوطلى : العرب والحضارة ، ص٢٦٣ ٠

١٠٠. حسن إبراهيم وعلى إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص١٤٠ ٠

١٠١. عبد الرحمن سالم : النظام السياسى والمالى فى الإسلام ، ص٢٦٣ ٠

١٠٢. الخربوطلى : العرب والحضارة ، ص٢٦٣ ٠

١٠٣. ابن طباطبا : الفخرى ، ص٢١٣ ٠

١٠٤. ابن الأثير : الكامل ، جـ١ ص٢٩١ ٠

١٠٥. حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن: النظم الإسلامية ، ص١٣٩، ١٤١ .

١٠٦. الهروى : التذكرة ، ص٩ ٠

١٠٧. الهروى : التذكرة ، ص١٠ ٠

١٠٨. الدينورى : الإمامة والسياسة ، ص١٧٩ ٠

١٠٩. الطبرى : تاريخه ، جـ٥ ص٣٣٨ ٠

١١٠. محمد الخضرى : محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية ، ص٤٤١ ٠

١١١. **محمد الخضرى** : محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية ، ص٢٢٣-٢٢٦ ، ص٤٤١ ٠

١١٢. **الدينورى** : الإمامة والسياسة ، ص٢١٣ ٠

١١٣. **يوسف العش** : تاريخ عصر الخلافة العباسية ، ص٤٣ ، ٤٤ ٠

١١٤. **البغدادى** : تاريخ بغداد ، جـ١٠ ، ص١١٢ ٠

١١٥. **ابن طباطبا** : الفخرى ، ص١٧٢ ، ١٧٣ ، **الطبرى** : تاريخه جـ٢ ص٤٣٥ ٠

١١٦. **الماوردى**:الأحكام السلطانية ، ص١٥،**الطبرى** : تاريخه جـ٢ ، ص٢٩٦،٢٤٠.

١١٧. **الماوردى** : الأحكام السلطانية ، ص١٥ ٠

١١٨. **المسعودى** : مروج الذهب جـ٣ ص٢٦٤ ٠

١١٩. **ابن طباطبا** : الفخرى ص٢١٤ ٠

١٢٠. **اليعقوبى** : تاريخه ، جـ٨ ص٥٠٠ ، **يوسف العش** : تاريخ عصر الخلافة العباسية ص٨٤ ٠

١٢١. **ابن طباطبا** : الفخرى : ص٢٤٣ ، ٢٤٤، **فتحية النبراوى** : النظم الإسلامية ، ص١٨١ ٠

١٢٢. **فتحية النبراوى** : النظم الإسلامية ، ص١٨١ ٠

١٢٣. **على حسنى الخربوطلى** : العرب والحضارة ، ص٢٥٦ ، ٢٥٧ ٠

١٢٤. **سورة البقرة** : الآية ١٢٤.

١٢٥. **حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن** : النظم الإسلامية ، ص٣٥ ٠

١٢٦. **الجهشيارى** :الوزراء والكتاب ص ١٢، ١٣ **محمد بطاينة**: تاريخ الحضارة ص ٣٨

١٢٧. حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص١٤٠ ٠

١٢٨. الطبرى : تاريخه ١جـ٦ ص ١٧٩.

١٢٩. عبد الرحمن سالم : النظام السياسى فى الإسلام ، ص٩٣ ٠

١٣٠. حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص١٤١ ٠

١٣١. حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص١٨٠ ،الخربوطلى : العرب والحضارة ص١٨٠ .

١٣٢. جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية ، ص٣٨ ، ٣٩ ٠

١٣٣. الخربوطلى : العرب والحضارة ، ص٢٦٣ ٠

١٣٤. الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص٧٤-٧٧ ٠

١٣٥. الحسن بن عبد الله : آثار الأول فى رتيب الدول ، ص٦٧-٧٢ ٠

١٣٦. الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص١٣٢ ٠

١٣٧. الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص١٢٦ ٠

١٣٨. المقريزى : الخطط جـ٢ ص١١٥ ٠

١٣٩. الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص٥٣ ٠

١٤٠. محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ص١٦٤ ٠

١٤١. سورة فصلت : الآية ١٢.

١٤٢. سورة طه : الآية ٧٢.

١٤٣. ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، جـ٥ ص٩٩.

١٤٤. البقرة : الآية ٢١٣ ٠

١٤٥. المائدة : الآية ٤٩ ٠

١٤٦. ابن خلدون : المقدمة ، ص١٦٥ ٠

١٤٧. محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ص٧٩ ٠

١٤٨. ابن هشام : السيرة ، جـ٢ ص١٤٩ ٠

١٤٩. الهروى : التذكرة ، ص١١ ٠

١٥٠. الطبرى : تاريخه جـ٣ ، ص٤٢٦ ٠

١٥١. محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ص٨٠ ٠

١٥٢. ابن خلدون : المقدمة ، ص١٧٣-١٧٥، محمد الخضرى : محاضرات فى تاريخ الأمم جـ٨ ص٣٨٦ ٠

١٥٣. اليعقوبى : تاريخه ، جـ٢ ، ص٤٠١ ٠

١٥٤. الدينورى : الإمامة والسياسة ، ص٣١٢ ٠

١٥٥. الكندى:الولاة والقضاة ص٥٩٠، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ٢ ص٩١ .

١٥٦. السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ٢ ص٩٩ ٠

١٥٧. أحمد تيمور : المذاهب الفقهية الأربعة ، ص١٥ ٠

١٥٨. حسن محمد جوده : نظم الحضارة ص ٨٢.

١٥٩. حسن محمد جوده : نظم الحضارة ص ٨٣.

١٦٠. الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص٦٥ ، ٦٦ ٠

١٦١. الكندى : كتاب الولاة والقضاة ، ص٣١٢، محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة ، ص٨٧ ٠

١٦٢. أبو داود : السفن الأقضية ، ص ٣٥٩٢.

١٦٣. محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة ، ص٨٥ ٠

١٦٤. محمد الخضرى : الأمم الإسلامية ،ج٢ ، ص٣٨٧ ٠

١٦٥. الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص٦٦ ٠

١٦٦. محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٨١ ٠

١٦٧. الماوردى : الأحكام ، ص٥٨ ٠

١٦٨. الكندى : كتاب الولاة والقضاة ، ص٣٢٥ ٠

١٦٩. الكندى : كتاب الولاة والقضاة ، ص٣٤٦ ٠

١٧٠. الكندى : الولاة والقضاة ، ص٣٤٨ ٠

١٧١. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٤٨ ، ٤٩ ٠

١٧٢. ابن خلدون : المقدمة ، ص١٦٦ ٠

١٧٣. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٤٩ ٠

١٧٤. هويدا رمضان : المجتمع المصرى جا ص٣١٢ ٠

١٧٥. ابن خلدون : المقدمة ، ص١٦٦ ٠

١٧٦. الطبرى : تاريخه جـ٧ ص٦٦ ٠

١٧٧. الكندى : ولاة مصر ، ص٥٩ ٠

١٧٨. القلقشندى : صبح جـ١٠ ، ص٣٨٧ ٠

١٧٩. الكندى : الولاة ، ص٥٨٨ ٠

١٨٠. محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة ، ص٨٤ ٠

١٨١. الكندى : الولاة ، ص٥٨٨، المقريزى : الخطط جـ٢ ، ص٢٤٦ ، القلقشندى : صبح جـ٣ ، ص٤٨٧ ٠

١٨٢. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٤٨،٤٩ ٠

١٨٣. خليفة بن خياط : تاريخه ص٤٢٧،٢٠٠،١٥٠ ٠

١٨٤. ابن قتيبة : المعارف ، ص٢١٦ ٠

١٨٥. الكندى : كتاب الولاة والقضاة ، ص٣١٧ ، ٤٣٥ ٠

١٨٦. الماوردى:الأحكام ، ص٧٩ ، القلقشندى : صبح ، جـ٣ ، ص٥٢٦ ، المقريزى: الخطط ، جـ٢ ، ص٢٤٦ ٠

١٨٧. الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص١٩٤ ٠

١٨٨. ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٧٤.

١٨٩. حسن محمد جودة : نظم الحضارة ، ص ٨٥.

١٩٠. الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص١٩٤ ٠

١٩١. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة ، ص٥٤ ٠

١٩٢. الماوردى : الأحكام ، ص٧١ ٠

١٩٣. الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص٢٠٤ - ٢٠٦ ، الخربوطلى : العرب والحضارة ، ص٢٦٩

١٩٤. الماوردى: الأحكام السلطانية ، ص١٩٤ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص١٦٦.

١٩٥. آل عمران : آية ١٠٤ ٠

١٩٦. محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة ، ص٩٣-٦٢ ٠

١٩٧. الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص٦٢ ، الخربوطلى : حضارة العرب ص١٧٠ .

١٩٨. سهام أبو زيد : الحسبة ، ص٤٧ ٠

١٩٩. الخربوطلى : العرب والحضارة ، ص١٧٠ ، ٧١ ٠

٢٠٠. حسن محمد جودة : نظم الحضارة ص ٩٠.

٢٠١. الماوردي : الأحكام ، ص ٢٠٨.

٢٠٢. ابن الأخوة : معالم القرية ، ص١٢ ٠

٢٠٣. البقرة : الآية ٤٤ ٠

٢٠٤. فتحية النبراوى : تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ، ص١١٢ ، سهام أبو زيد : الحسبة ، ص١١٦ .

٢٠٥. الشيزري : نهاية الرتبة ، ص ٢١.

٢٠٦. ابن الأخوة : معالم القرية ، ص ٩١.

٢٠٧. ابن الأخوة : معالم القرية ، ص ٩٩.

٢٠٨. سهام أبو زيد : الحسن ، ص ٢١٤.

٢٠٩. ابن الأخوة : معالم القرية ، ص ١٥٩.

٢١٠. سهام أبو زيد : الحسبة ، ص ١٧١.

٢١١. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة ص ٧٥.

٢١٢. ابن الأخوة : القرية ، ص ١٧٣.

٢١٣. سهام أبو زيد : الحسبة ، ص ١٥١.

٢١٤. الماوردي : الأحكام ، ص ٢٤٧.

٢١٥. **سهام أبو زيد** : الحسبة ، ص ١٥١.

٢١٦. **الشيزرى**: نهاية الرتبة ، ص ١١١.

٢١٧. **سهام أبو زيد** : الحسبة ، ص ١٤٩، أحمد منصور الحسبة ص ٢٠.

٢١٨. **ابن الأخوة** : معالم القرية ، ص ١٨٠.

٢١٩. **ابن الأخوة** : معالم القرية ، ص ٢٤٠-٢٤٤.

٢٢٠. **ابن بسام** : نهاية الرتبة ، ص ٧١، ٧٢.

٢٢١. **ابن الأخوة** : معالم القرية ، ص ٢٤١

٢٢٢. **المقريزى** : إغاثة الأمة ، ٤٧ .

٢٢٣. **ابن خلدون** : المقدمة ، ص ١٧٨ ، سهام أبو زيد : الحسبه ص ١٥٠.

٢٢٤. **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٥٨ ٠

٢٢٥. **الشـــرطة** : كلمة مشتقة من الشرط أى العلامات التى كان أصحاب الشرطة يضعونها فوق ملابسهم من أجل أن يعرفهم الناس ، **القلقشندى** : صبح جـ٢ ، ص٤٢٣،٤٠٥ ٠

٢٢٦. **الفيروز أبادى** : القاموس المحيط ، مادة الشرطة .

٢٢٧. **الطبرى** :تاريخه ، جـ٤ ، ص٢٠٥ ٠

٢٢٨. **خليفة بن خياط** : تاريخه ، ص١٧٩ ٠

٢٢٩. **حسن إبراهيم حسن** : النظم الإسلامية ، ص٢١٧ ٠

٢٣٠. **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر ، ص١٠٥ ، **ابن دقماق** : الانتصار جـ٤ ، ص٦ .

٢٣١. **الكندى** : الولاة ، ص١٩٢ ، **أبو المحاسن** : النجوم جـ٢ ، ص٢١ ٠

٢٣٢. **الطبرى** : تاريخ ، جـ٥ ، ص٢٢٢ ٠

٢٣٣. **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص١٣٥ ٠

٢٣٤. **أحمد فريد رفاعى** : عصر المأمون جـ١ ، ص٣٢٧ ٠

٢٣٥. **ابن خلدون** : المقدمة ، ص١٨٨ ٠

٢٣٦. **أبو المحاسن** : النجوم ، جـ٢ ص٢٦ ٠

٢٣٧. **أحمد عبد الرازق** : شرطة القاهرة ، ص١٣ ٠

٢٣٨. **أحمد عبد الرازق** : تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، ص٣٧ ٠

٢٣٩. **القلقشندى** : صبح جـ١ ص٨٩ ، ٩٠ ٠

٢٤٠. **المقريزي** : الخطط ، جـ٢، ص ١٨٧.

٢٤١. **المقريزي** : الخطط ، جـ٤، ص ١٨٧، مشرفة الحكم ص ٢٥١.

٢٤٢. **انظر مادة الديوان** : فى القاموس المحيط للفيرزبادى ، ولسان العرب لابن منظور ٠

٢٤٣. **القلقشندى** : صبح جـ١ ، ص ٩٠ ٠

٢٤٤. **الماوردى** : الأحكام ، ص١٧٣ ٠

٢٤٥. **ابن الأثير** : الكامل ، جـ١ ، ص٢٣٠ ٠

٢٤٦. **الطبرى** : تاريخه جـ١ ، ص١٦٢ ٠

٢٤٧. **البلاذرى** : فتوح البلدان ، ص٤٣٦ ٠

٢٤٨. **النويرى** : نهاية الارب ، جـ٨ ، ص١٩٨ ٠

٢٤٩. **ابن خلدون** : المقدمة ، ص٢٤٤ ٠

٢٥٠. الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص٨٣ ٠

٢٥١. ابن خلدون : المقدمة ، ص١٩٢ ٠

٢٥٢. الطبرى : تاريخه جـ٦ ، ص١٨٠ ٠

٢٥٣. المقريزى : الخطط ، جـ١ ، ص١٥٨ ٠

٢٥٤. حسن محمد جودة : نظم الحضارة ، ص ٦٢.

٢٥٥. المقريزي : الخطط جـ١ ص ١٨١.

٢٥٦. الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص ٣٨-٤٠.

٢٥٧. الماوردي: الأحكام ، ص ١٧٩ ، محمد بطانية : الحضارة الإسلامية ، ص ١٤٨.

٢٥٨. الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص ٦٧ ، أبو زيد شلبي : الحضارة ص ١١٣.

٢٥٩. حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص ١٧٢.

٢٦٠. المقريزي : الخطط جـ٢ ، ص ٣٥٢.

٢٦١. قدامة بن جعفر : الخراج وصفه الكتابة ص ٢١ ، ٢٣.

٢٦٢. المقريزي : الخطط جـ٢ ص ١١٤.

٢٦٣. الطبري : تاريخه جـ٥ ص ٣٣٠.

٢٦٤. الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص ٢.

٢٦٥. البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٦٢.

٢٦٦. هونكة : شمس العرب ، ص ١٧٨.

٢٦٧. آدم متز : الحضارة جـ١ ، ص ١٥٤.

٢٦٨. حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ص ١٧٢.

٢٦٩. **محمد بطاينة** : في تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١٤٥.

٢٧٠. **الجهشياري** : الوزراء والكتاب ، ص ٣٥، **الطبري** : تاريخه جـ٦ ص ١٨٠.

٢٧١. الإنشاء من الألفاظ المستعلمة في ديوان الرسائل ويقصد بها عمل نسخة يعملها الكاتب فتفرض على صاحب الديوان ليزيد فيها أو ينقص أو يقرها على حالها ويأمر بتحريرها : **الخوارزمي** : مفاتيح العلوم ، ص ٥ .

٢٧٢. **المقريزي** : الخطط جـ٢ ص ١١٦.

٢٧٣. **عبد المنعم ماجد** : في تاريخ الحضارة ، ص ١٥٠.

٢٧٤. **محمد بطاينة** : في تاريخ الحضارة ، ص ١٥٠.

٢٧٥. الرازي: معجم مختار الصحاح، مكتبة لبنان ١٩٨٥ ، ص ١٩ ، **القلقشندي**: صحيح جـ١٤ ص ٣٦٥ ، **أحمد مختار العبادي** : نظم الحكم والإدارة ، ص ١٧٠.

٢٧٦. **محمد بطاينة** : في تاريخ الحضارة ، ص ١٥١.

٢٧٧. **نظير حسان سعداوي** : البريد : ص ٤٥.

٢٧٨. **نظير سعداوي** : البريد : ص ٤٥.

٢٧٩. **فيليب حتى** : تاريخ التمدن الإسلامي ط ص ١٠٦.

٢٨٠. **محمد بطاينة** : في تاريخ الحضارة ، ص ١٥١.

٢٨١. **نظير حسان سعداوي** : البريد : ص ٤٥.

٢٨٢. **نظير سعداوي** : البريد : ص ٤٥.

٢٨٣. **القلقشندي** : صحيح جـ١٤ ، ص ٣٦٨.

٢٨٤. **ابن طباطبا** : الفخري ص ١٠٦.

٢٨٥. القلقشندي : صبح جـ١٤ ، ص ٣٦٨.

٢٨٦. نظير سعداوي : البريد ، ص ٥٤.

٢٨٧. القلقشندي : صبح جـ١٤ ، ص ٣٦٧.

٢٨٨. نظير سعداوي : البريد ، ص ٥٤.

٢٨٩. الطبري : تاريخه ، جـ٣ ، ص ٥١٧.

٢٩٠. نظير سعداوي : البريد ، ص ٦٠.

٢٩١. نظير سعداوي : البريد ، ص ٦٣.

٢٩٢. القلقشندي : صبح جـ١٤ ، ص ٣٧٧.

٢٩٣. القلقشندي : صبح جـ١٤ ، ص ٣٧٧.

٢٩٤. سميت باسم الشهادة لأنها كانت تأتي إلى محطة البريد من أول الشهر وتبقى نهايته ثم تعاد إلى صاحبها ويؤتي بغيرها . محمد بطاينة . الحضارة، هامش ص ١٥٢.

٢٩٥. الحسن بن عبد الله آثار الأول وترتيب الدول ، ص ٨٨.

٢٩٦. محمد بطانية : في تاريخ الحضارة ، ص ١٥٢.

٢٩٧. القلقشندي : صبح حاصى ١١٤-١١٧.

٢٩٨. محمد بطانية : في تاريخ الحضارة ، ١٥٤.

٢٩٩. القلقشندي: صبح جـ١ ص ١١٨، ابن شاهين: زبده كشف الممالك ص ١١٧.

٣٠٠. الحسن بن عبد الله : آثار الأول ، ص ٨٨.

٣٠١. حسان سعداوي : البريد ص ١٤١.

٣٠٢. **عبد المنعم ماجد** : نظم المماليك ورسومهم ص ٦٤ ، ٦٥.

٣٠٣. **المقريزي** : الخطط ، جـ٢ ، ص ٣٧٥.

٣٠٤. **الميل** : ١٨٤٨.

٣٠٥. **الحسن بن عبد الله** : آثار الأول ، ص ٨٩ ، **الجاحظ** : البيان ص ٣٦٤ .

٣٠٦. **حسان سعداوي** : البريد ص ١٥٧.

٣٠٧. **فيليب حتى** : تاريخ التمدن الإسلامي ، جـ١ ،ص ١٨٣.

٣٠٨. **القلقشندي** : صحيح جـ ١٤ ، ص ٤٠٠.

٣٠٩. **ابن شاهين** : زبده كشف المالك ١٩٣.

٣١٠. **نظير حسان سعداوي** : البريد ، ص ١٥٤- ١٥٦.

٣١١. **الطـــراز** : كلمة مشتقة من الكلمة الفارسية ترازيدن ، ومعناها النسيج الثمين المطرز بالأشرطة ، وتراز بمعنى التطريز وعمل المدبج ، ثم أصبح يدل على ملابس السلطان ألأمر الأمير أو رجال الدولة . وأطلق أيضا على المصنع والمكان الذي تصنع فيه المنسوجات **عبد العزيز مـــرزوق** : الفنون الزخرفية الإسلامية في مصر ، ص ١٨٨.

٣١٢. **الجهشياري** : الوزراء والكتاب ، ص ٦٠.

٣١٣. **البلاذرى** : فتوح البلدان ، ط ص ٢٨٣.

٣١٤. **ابن خلدون** : المقدمة ، ص ٢٠٠.

٣١٥. **الجهشياري** : الوزراء والكتاب ، ص ٦٠.

٣١٦. **التوبة** : الآية ٦٠.

٣١٧. **قدامة من جعفر** : الخراج وصناعة الكتابة ، ص٣٣-٣٥.

٣١٨. **الحسن بن عبد الله** : أثار الأول في ترتيب الدول ، ص ٧٤.

٣١٩. **قدامة بن جعفر** : الخراج ، ص٣٦.

٣٢٠. **الخوارزمي** : مفاتيح العلوم ، ص ٣٧.

٣٢١. **اليعقوبي** : البلدان ، ص ١٣ ، **محمد بطاينة** : الحضارة ١٥٩.

٣٢٢. **ابن الاثير** : الكامل ، جـ٥ ص ٤٨ ، **الجهشياري** : الوزراء ، ص ١٢٤.

٣٢٣. **اليعقوبي** : تاريخه ، جـ٢ ، ص ٢٣٣.

٣٢٤. **محمد بطاينة** : الحضارة ، ص ١٦٠.

٣٢٥. **الطبري** : تاريخه جـ١ ، ص ٤٤.

٣٢٦. **آدم متز** : الحضارة جـ١ ، ص ١٥٤ ، ١٥٥.

٣٢٧. **الخوارزمي** : مفاتيح العلوم ص ٤٥.

٣٢٨. **المقريزي** : الخطط جـ٢ ، ص ١٠٨ ، ١١٤.

٣٢٩. **مسكوية** : تجارب الأمم ، ص ٩٩-١٧٥.

٣٣٠. **محمد بطاينة** : في تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١٦٢.

٣٣١. **المقريزي** : الخطط جـ ٢ ، ص ١٠٧.